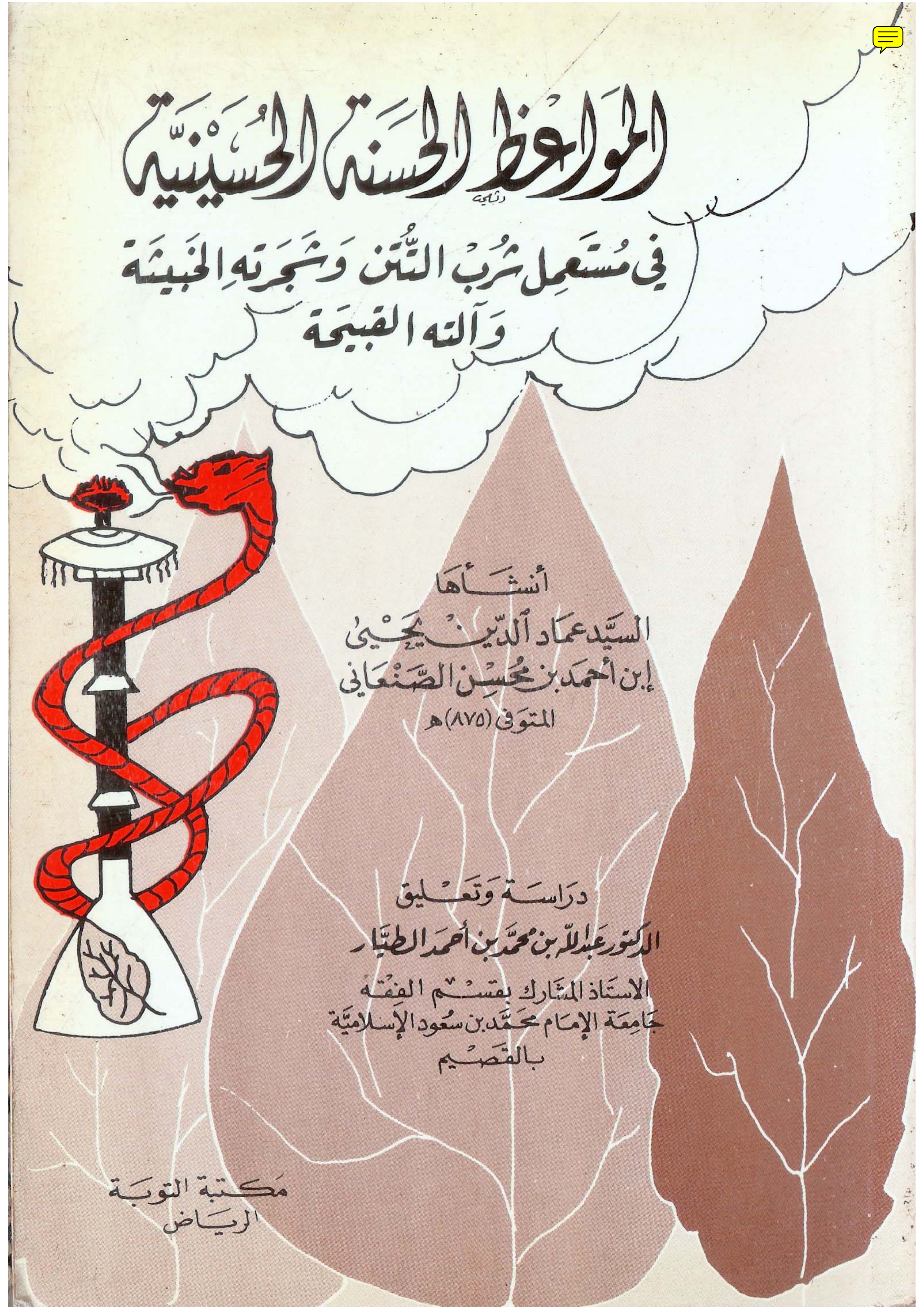

المواعظ الحسنة الحسينية
في مستعمل شرب التتن وشجرته الخبيثة
وآلته القبيحة
أنشأها
السيد عماد الدين يحيى
إبن أحمد بن محسن الصنعاني
المتوفى (٨٧٥)هـ
دراسة وتعليق
الدكتور عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار
الاستاذ المشارك بقسم الفقه
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالقصيم
مكتبة التوبة
الرياض

المواعظ الحسنة الحسينية

في مستعمل شرب التتن وشجرته الخبيثة وآلته القبيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمَوَاعِظُ الْحَسَنَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ

فِي مُسْتَعْمِلِ شُرْبِ التُّتُنِ وَشَجَرَتِهِ الْخَبِيثَةِ وَآلَتِهِ الْقَبِيحَةِ

أنشـأها

السَّيِّد عماد الدِّين يَحْيَى

إبن أحمد بن مُحسِن الصَّنْعَانِي

المتوفى (٨٧٥) هـ

دراسـة وتعـليق

الدكتور عبد الله بن محمَّد بن أحمد الطيَّار

الأستاذ المشارك بقسـم الفقـه

جَامِعَة الإمَام محَمَّد بن سعُود الإسلاميَّة

بالقصـيم

مَكتبة التوبَة

الريَاض

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مكتبة التوبة
المملكة العربية السعودية
الرياض (١١٤١٥)- ص. ب. (١٨٢٩٠)
ت/ ٤٧٦٣٤٢١ فاكس/ ٤٧٩٠٤٤٣

المقـــدِّمَة

الحمدلله الذي أمـر الخلق باتبـاع دينه وتصـديق رسولـه وأمر بالاقتداء بأحكامه والأخذ بمـا سن وشرع من الأحكـام في كتابـه وعلى لسان رسوله وجعل العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام يقومون مقام الرسـل في حفظ الشرع والشهـادة بتبليغ الـدين كما جعـل الرسول الخاتم ﷺ شهيداً عليهم «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم»(١).

وبعد،

فممادعاني لكتابة هذه الأسطر ثلاثة مواقف في أوقات مختلفة وأمكنة متباينة وكثيراً ما تفرض المواقف نفسها على الشخص حتى تمتلك كثيراً من مشاعره وأحاسيسه وهذه المواقف هي :

١ ـ كنت ذات يوم في أحد الأماكن العامة المزدحمة بالمراجعين وكان الوقت صيفاً، وفي نفس المكان مجموعة من المدخنين فأخذت رائحة الدخان تنبعث من هنا وهناك وأخذ الجو يتغير شيئاً فشيئاً حتى ضاق بنا المكـان وتركت مـع مجموعـة من المـراجعين مكاننـا حفاظـاً على صحتنا وحين سـألت أحـد

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٢.

المـدخنين ألا تلاحظ أذيتـك للناس قـال: بلى، وأنـا أعلم بضرره على صحتي، ولكنني مبتلي به ودار بيني وبينه نقاش طويل جعلني أفكر في الكتابة حول الموضوع.

٢ ـ كنت ذات مرة راكباً في حافلة ـ اضطراراً ـ من مدينة إلى مدينة وبعد مسافة قصيرة بدأت الرائحـة تنبعث وكان الـوقت شتاء والنوافذ محكمة وأحسست وكأنني أختنق فتحدثت مع السائق وبعض المـدخنين ثم تكلمت بكلمـة عـامـة على الجميـع فاستجاب كل من في الحافلة إلا السائق حيث دار بيني وبينه نقاش طويل جعلني أفكر في الكتابة حول الموضوع لعل الله أن يجعل فيه فائدة عامة.

٣ ـ كنت ذات مرة راكبا في القطار من مدينـة إلى مدينـة وكانت السفرة ممتعة إذ كان معي مجموعة من الأحباب وطلاب العلم وكان الجو مفعم بالمسائل العلمية والمطارحات الأدبية وفجأة اشعل أحد المجاورين لنا الدخان فتأزم الجو وتحدث معه أحد الأحباب لكنه لم يستجب وتبعـه ثان وثـالث حتى خالـطت الرائحة الثياب واللحم من شدة سريانها فأطرقت ملياً ثم طلبت من أحد العاملين في القطار أن يغير أمكنتنا أو أمكنة المدخنين أو أن يمنعهم فاستجاب مشكوراً لكن الموقف أملى عليّ أن أكتب حول الدخان فكانت هذه الصفحات.

وأخيراً أرجو من كل محب يطلع عليه ألا يحرمني من تـوجيه صادق أو إرشاد صائب أو ملاحظة هادفة فالمرء قليل بنفسـه كثير بإخوانه.

وصدق القائل:

محض النصيحة من محب فاضل
توجيهه للحق بالكلمات
إن كان مكتوباً فذاك مرادنا
أو هاتفاً ينبي عن الشطحات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

مخطط البحث

جعلت البحث في مقدمة وبابين وخاتمة.

الباب الأول: التعريف بالمخطوطة والتعليق عليهاويشمل فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف والكتاب وتحته مبحثان.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب

الفصل الثاني: التعليق على المخطوطة

الباب الثاني: دراسة شاملة للدخان ويشمل سبعة فصول:

الفصل الأول: تعريفه وتاريخ ظهوره وتحته مبحثان:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: اكتشافه وتاريخ ظهوره.

الفصل الثاني: أسباب انتشار التدخين وتحته تسعة مباحث:

المبحث الأول: القرين.

المبحث الثاني: البيئة.

المبحث الثالث: الشعور بالنقص

المبحث الرابع: التقليد الأعمى.

المبحث الخامس: الدعاية

المبحث السادس: سهولة الحصول عليه

المبحث السابع: التساهل في التربية

المبحث الثامن: التقصير في مكافحته

الفصل الثالث: أضراره وآثاره وتحته ستة مباحث

المبحث الأول: أضرار التدخين على الدين

المبحث الثاني: أضرار التدخين على البدن

المبحث الثالث: أضرار التدخين على العقل

المبحث الرابع: أضرار التدخين على المال

المبحث الخامس: أضرر التدخين على العرض

المبحث السادس: أضرار أخرى.

الفصل الرابع: حكم الدخان وتحته مبحثان

المبحث الأول: حكم الدخان

المبحث الثاني: شبه مستحليه

الفصل الخامس: فتاوى العلماء في تحريمه.

الفصل السادس: بعض القصائد فيه والقصص الواقعية للمدخنين وتحته مبحثان.

المبحث الأول: بعض القصائد في الدخان.

المبحث الثاني: بعض القصص الواقعية للمدخنين.

الفصل السابع: كيفية الإقلاع عنه.

الخاتمة: **الفهارس**:

*** فهرس الآيات القرآنية**
*** فهرس الأحاديث النبوية** *** فهرس الأبيات الشعرية**
*** فهرس المصادر والمراجع** *** فهرس الموضوعات**

الفصل الأول

المبحث الأول

ترجمة المؤلف

هو يحيى بن أحمد بن علي الصنعاني عماد الدين بن مظفر من فقهاء الزيدية باليمن، أحد العلماء المبرزين من الزيدية في علم الفقه الذي أخذه عن علماء عصره كالفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، كما صرح بذلك صاحب الترجمة في أول مصنفه الذي سماه (البيان) فإنه قال: وجعلت فيه ما كان مطلقاً فهو من كتابي التذكرة والزهور، أو ما نقلته عن شيخي المشهور عالم الزمان يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، أو مما استحسنته من البحر الزخار....

وقد عكف الطلبة على كتابه المذكور في ديار الزيدية كصنعاء وذمار وصعده وغيرها، وصار لديهم من أعظم ما يعتمدونه في الفقه، ومن جملة مشايخه الإمام المهدي أحمد بن يحيى له مصنفات كثيرة منها:

البيان الشافي والدر الصافي المنتزع من البرهان الكافي،

والجامع المفيد الداعي إلى طاعة الحميد المجيد، والكواكب على التذكرة.

توفي رحمه الله في هجرة حمده باليمن سنة (٨٧٥ هـ).

وقد رثي بمراثٍ كثيرة منها ما هو مكتوب على ضريحه ومنها:

بمـوت عمـاد الـذين مـاتت مكـارم
فـأكـرم بـه مـا عشت في الله مكـرمـا

فمن ذا يقـود النـاس للرشـد والهـدى
بـحـلم ورشـد زانـه وتـعـلمـا

إلى أن قال:

وكـنت لـعـلم الـفـقـه أبـلغ نـاقـل
وتصنيفـك البـرهـان علمـاً محكمـا

كـذاك البيـان الشـايـع اليـوم ذكـره
بشـرق وغـرب في البـلاد قـد انتمى

وفي الجامع المجموع في الدهر شاهد
بـأنـك قـد صنفت في الـدهـر مغنمـا

إلى آخر القصيدة وهي طويلة[1].

---

(١) انظر في ترجمته:
أ ـ هداية العارفين للبغدادي جـ ٢ ص ٥٢٨.
ب ـ البدر الطالع جـ ٢ ص ٣٢٥.
جـ ـ الأعلام جـ ٨ ص ١٣٦.
د ـ معجم المؤلفين جـ ١٣ ص ١٨٤
هـ ـ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٢٥.

المبحـث الثاني

التعـريف بالكتاب:

المواعظ الحسنة الحسينية في مستعمل شـرب التتن وشجرتـه الخبيثة وآلته القبيحة، وألفها عماد الدين يحيى بن أحمد الصنعاني المتوفي سنة (٨٧٥).

عثرت على هذه المخـطوطة في معهـد المخطوطـات العربيـة بالكويت، وتبين لي أنها صورت من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة أل الجنيد)، تحمل رقم (٢٢).

تاريخ التصوير ٢٣ محرم ١٤٠٣ هـ.

عدد الصفحات (٨).

المقـاس ١٥ × ٢٠ سم.

النسخـة كتبت بقلم معتاد وتـاريخ النسـخ كمـا هـو مثبت في المخطوطة سنة ١٠٥٥ هـ.

عدد الأسطر في الصفحة الواحدة في حدود ١٥ سطراً.

عليها تعليق في الجوانب يظهر أنه من الناسخ لأنه يشيـر إلى اختلاف الوقت عن وقت المؤلف.

ثم ختمت المخطوطة بتعليق في حدود صفحة واحدة تبين لي

أنه من الناسخ لأنه نقل عن بعض الأعلام من حكام اليمن الذين وجدوا بعد المؤلف بقرن كامل من الزمان، وعلى العموم فالمخطوطة قليلة الحجم عظيمة الفائدة لأنها أفادت معلومة تاريخية هامة وهي أن الدخان موجود قبل اكتشاف أمريكا، لكنه لم يشتهر وينتشر إلا بعد اكتشافها، ثم أن المؤلف في بيئة تقبل على الدخان والشيشة والقات، ومع ذلك قطع بتحريم الدخان لما عايش من أضراره بل إنه بالغ فجعله كالخمر أو أشد مما سنوضحه في أثناء هذا البحث المختصر إن شاء الله.

حاولت جاهداً المحافظة على النص إلا في حالة عدم وضوح العبارة فإني أقوم بتعديلها مع المحافظة على أصلها قدر المستطاع.

عزوت الآيات الواردة في المخطوطة.

علقت على كلام المؤلف وحرصت على توضيح العبارة وبيان مقصود المؤلف وما رأيت أن المؤلف بالغ فيه أوضحت ما أرى أنه الصواب في نظري وكل ذلك محفوف بالأدب مع المؤلف وتقدير جهده وعلمه.

حاولت جاهداً أن أشرح الكلمات الغامضة وقد اعتمدت على المراجع الأصيلة في كتب اللغة والمعاجم كاللسان والقاموس وغيرهما.

عقدت مقارنات موجزة بين كلام المؤلف وواقعنا المعاصر مما يوضح عظم بلية من ابتلى بشرب هذا الداء الخبيث.

وأخيراً فقد اجتهدت في التعليق على نصوص المؤلف مما رأيت

أنه يكمل ويجمل هذه الرسالة اللطيفة سائلاً المولى جل وعلا أن يثيبني ويتجاوز عني ويغفر لي الزلل في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * * *

الفصل الثـاني

التعليق على المخطوطة

هذه المواعظ الحسنة الحسنية

انشاها السيد عمر الدين ... بن محمد بن الحسن

ومستعمل شرب التتن وتحريمه الحسنه

والسنة القبيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حرم كل بدعة محتقرة وملهية عن مواعظ ستعمه

الذي خلق الانسان وعلمه البيان ومبين الحلال من الحرام

وما يحصل به الثواب والاثام واشهد ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله

شهادة من خافه وخشاه ونبذ كل معبود سواه

عباد الله اوصيكم واياي بتقوى الله وبما

في تركه رحمة الله فانكم عاكفون على بدعة قبيحة

ومحرمة مزجية تحرمها صاحبها عند ... وفقير وترفع

مجلد عند سوقي وسفيه ... من له معقول الى ما

اعتمد عليه كل ... من ... منفار الشيطان

وقال الامام ابن علوان المسلم وشيخ على الغلدري فانها
عشارة سوداء ورق تحت الشجر مثل آذان البغال
فاجتنبوها لانها حرام لله ورسوله على عباده
وقد قال فيها شعرا لولانا امام الوقت المنصور
محمد بن الحاج القاسم بن محمد رضوان الله عليه وهو
محرم لها وللاولاد الولد الله عليه السلام

اذا اردت شيم اهل جماعة رشد ولا يا سيم تتنان
بانفسهم وسوس بتنزيه ودون شيم الاصحاب والخلان
فان رأينا فتى سوى به ابتلى الاول عمله او دنيا فياله
لكنه زمان الله صبره عادي بعيد الاصحاب لو تتنان
وان تحمد بالسحق لا زيد لنفسه دين حكمه تتنان

تمت كما حد والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد[٢] لله الذي حرم كل بدعة[٣]. مخترعه ومربيه عن مواعظ مستمعه ، الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، وميز له الحلال من

---

[١] أي ابتدىء أو أفتتح أو أؤلف باسم الله تعالى مستعيناً به وفي إيثار وصفي الرحمن والرحيم المفيدين للمبالغة في الرحمة إشارة إلى سبقها وغلبتها فرحمة الله تسبق وتغلب غضبه وقدم لفظ الجلالة على وصفي الرحمن والرحيم لأنه اسم ذات وهما اسما صفة والذات مقدمة على الصفة، وقدم الرحمن على الرحيم لأنه خاص إذ لا يقال لغير الله تعالى بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام(١).

[٢] أتى بالحمد بعد البسملة تأسياً بالكتاب العزيز وعملاً بما جاء في سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال , قال رسول الله ﷺ «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم»(٢).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر جـ ١ ص ٦٥، والروض المربع للبهوتي جـ ١ ص ٥.

(٢) رواه أبو داود . أنظر سنن أبي داود جـ ٤ ص ٦٦١ حديث رقم (٤٨٤٠) وقال عنه إنه مرسل، وقال النووي في الإذكار إنه حديث حسن ص ٩٤، وقال الألباني في إرواء الغليل جـ ١ ص ٣٠ حديث ضعيف.

الحرام ، وما يحصل به الثواب والآثام وأشهدأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة من خافه وخشاه ، ونبذ كل معبود سواه .

عباد الله أوصيكم وإياي بتقوى[٤] الله وبما في تركه رضا الله ، فإنكم عاكفون[٥] . . . .

---

[٣] البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح(٣).
قال في مختار الصحاح «البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال»(٤).

[٤] التقوى هي وصية الأنبياء لأممهم من أولهم إلى آخرهم وهي ما ينبغي أن يوصي به كل مسلم من تحت يده في حال حياته وبعد موته، ومعنى التقوى في اللغة الصيانة والحذر والحماية والحفظ وفي الاصطلاح فعل المأمورات التي تستوجب رضى الله وتجنب المنهيات التي تستوجب عقابه(٥).

[٥] مأخوذ من عكف وبابه دخل وجلس يقال عكف على الشيء أقبل عليه مواظباً(٦).

---

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الإثير جـ ١ ص ١٠٦ .
(٤) مختار الصحاح للرازي ص ٤٤ .
(٥) التقوى لصلاح الدين مارديني ص ١٦ .
(٦) مختار الصحاح للرازي ص ٤٤٩ .

على بدعة قبيحة ومخزية كريهة[٦].

تخزي صاحبها عند رئيس وفقيه[٧]، وترفع محله عند سوقي[٨]، وسفيه[٩] فينظر من له معقول إلى ما اعتمد عليه كل غمر[١٠] جهول

[٦] الدخان وما في حكمه خليق بهذه الأوصاف كيف لا وهو من الخبائث التي لا توجد في مجالس الأخيار والصالحين وإنما تدار في مجالس الفسقه والأشرار.

[٧] الفقه في اللغة الفهم، وفي الاصطلاح معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية، والفقيه هو من يعرف الأحكام ويبين أمور الحلال والحرام.

[٨] السوقي: جمعه سوقة يستوي فيه الواحد، والجمع والمؤنث والمذكر قالت بنت النعمان بنت المنذر:

فينا نسوس الناس والأمر أمرنا
إذا نحن فيهم سوقه نتصف

، أي نخدم الناس وعليه فالسوقة من لم يكن ذا سلطان، وقيل هم أوساط الناس(٧).

[٩] السفيه قال ابن سيده سفه علينا جهل فهو سفيه، والجمع سفهاء، وسفاه قال الله تعالى: ﴿كما آمن السفهاء﴾ أي الجهال والسفيه الجاهل، والأنثى سفيهة والجمع سفيهات وسفائه وسفّه وسفاة(٨).

[١٠] الغمر جمعه أغمار، قيل من الغمر بكسر المعجمة، أي الحقد، أي حاقد، وقيل بضم المعجمة وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرب الأمور(٩).

(٧) لسان العرب لابن منظور جـ ١٠ ص ١٧٠.
(٨) لسان العرب جـ ١٣ ص ٤٩٨.
(٩) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٢.

من تقبيل منقار[١١] الشيطان في كل ساعة وأوان والانقياد له مدّ الأزمان الآفالة الأتتان هي منقار الشيطان ، يلقيه في فم الانسان فيورث في قلبه النسيان[١٢] ويلهيه عن تلاوة[١٣] القرآن ويزين له الفسوق والعصيان ، ويقرقر[١٤] بصوته في المباح فيخرس به الانسان عن الاستماع ، ويغفل قلبه عن حضور الجمعة[١٥] والاجتماع فما هذا الخذلان يا إنسان في إنقيادك للشيطان ما زال ينصب لك الحبال[١٦] ويوسوس لك بكواذب الآمال حتى صيرك في شراكه

---

[١١] هذا وصف للآلة التي كانت تستعمل للتدخين قبل ابتكار الأساليب الماكرة الحديثة.

[١٢] ثبت طبياً أن الدخان وما يلحق به يورث النسيان وعدم القدرة على التركيز وبالتالي ضعف التحصيل وعدم استيعاب المعلومات وسيأتي تفصيل ذلك في القسم الدراسي بمشيئة الله تعالى.

[١٣] لا شك أن المجلس الذي يشرب فيه الدخان يقل فيه الذكر وتلاوة القرآن لأن أهل الخير ومجالس الصالحين بعيدة كل البعد منه بل تجد مجالس الفسقه والأشرار هي التي تكون عامرة به وهذا أمر مشاهد في واقع الناس.

[١٤] قرقر الشراب في حلقه صوت يقول كأنه يستغنى بسماع صوت الدخان عن سماع الذكر(١٠).

[١٥] هذا فيه شيء من المبالغة ولو قال عن التبكير للجمعة لكان أدق.

[١٦] الشيطان يسلك كل طريق لإضلال الناس وإبعادهم عن طريق الخير فكأنه ينصب الحبال ليصطاد بها ضحاياه.

---

(١٠) لسان العرب جـ ٥ ص ٩٠.

وأدخلك من جملة خدمه وأملاكه[١٧] فجعلك له وصيفاً[١٨] وجعل فـاك[١٩] لأذائه كنيفـاً[٢٠] فتخدم بضـاعته بـالتنـظيف ويفتـح فـاك لغائطه[٢١] كالكنيف

فقد صار فوك بيتاً[٢٢]خاصاً بالشيطان تتأذى فيه بلون كالدخـان

---

[١٧] من يطيع الشيطان ويأتمر بأمره كأنه مملوك له يوجهه كيف يشاء.

[١٨] الوصيف الخادم غلاماً كان أو جارية ويقال وصف الغلام إذا بلغ الخدمة فهو وصيف بين الوصافة والجمع وصفاء(١١).

[١٩] فاك أي فمك.

[٢٠] الكنيف قال في القاموس(١٢) (الكنيف هو السترة والساتر والترس والمرحاض) وهو ما يقصده المؤلف هنا وهو المكان الذي يتخذ في الدار لقضاء الحاجة وقد نابت منابه الحمـامات في الـوقت الحاضر.

[٢١] الغائط كناية عن العذرة(١٣).

وأصل الغائط المطمئن من الأرض الواسع وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى الغائط وقضى حاجته، فقيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط يكنى به عن العذرة(١٤).

[٢٢] في الأصل بيت خاص وهو خطأ واضح كما ترى والصواب مـا أثبتناه.

---

(١١) لسان العرب جـ ٩ ص ٣٥٧.

(١٢) القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٩٩.

(١٣) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٣٩٠.

(١٤) مختار الصحاح ص ٤٨٤.

فانظر إلى فعل اللعين[٢٣] ما هذه الحبايل والتمكين تمكن من أعدائه فأسر وصال عليهم بالحبائل واستهر وأورث في قلوبهم نار سقر لا تبقى في حياتهم تركة ولا تذر ، وفي الآخرة حشر ووبال وحميم وعذاب ونكال[٢٤] فيا مغروراً بالمباعات لم لا تحب المداعات[٢٥] وتهد إلى فعل ما وجب من الطاعات ، وتترك هذه البضاعات التي خسر بائعها وأثم شارعها[٢٦]، فأين حزمك يا بهلول[٢٧] وأين بصرك

---

[٢٣] من يلعنه كل أحد كالشيطان(١٥).

[٢٤] هذا لا يخلو من المبالغة وهو أسلوب من أساليب الوعظ للزجر والتنفير من هذه المعصية القبيحة.

[٢٥] أي الدعوة إلى الخير وهي لفظة غريبة.

[٢٦] بالحاشية تعليق هذا نصه:

وشارعها في أرض اليمن(١٦)... لعنه(١٧) الله، أهديت إليه وكان يهديها إلى عظماء دولته من الأمراء وغيرهم حتى فشت في الخواص وعمت الناس فمن سن بدعة كان عليه عمل من عمل بها إلى يوم القيامة أ. هـ.

[٢٧] البهلول الرجل الضحاك والسيد الجامع لكل خير(١٨). وقال في مختار الصحاح البهلول من الرجال بالضم الضحاك(١٩).

---

(١٥) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٦٩.

(١٦) سمى المؤلف الشخص الذي يتكلم عنه وقد آثرنا عدم الإفصاح عنه إذ لا مصلحة في الإشهار باسمه.

(١٧) هذا فيه زيادة تجن غير مقبول سامح الله المؤلف وغفر له، فقد كان يذب عن الحق، ويندب للفضائل وينبذ الرذائل.

(١٨) القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٥٠.

(١٩) مختار الصحاح ص ٦٧.

في هدايتك يا جهول فارجع إلى ربك وأنب ، وتب إليه توبة نصوحا فأنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظم ثم أني لما رأيت استحواذ الشيطان على كثير من المسلمين ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[٢٨] واعتمادهم على استعمال تلك الشجرة الخبيثة المجتثه[٢٩] من فوق الارض أن شاء [٣٠] الله ، التي ملابسها[٣١] أرخص وأخبث[٣٢] منها ، وأمعنت النظر في حالها وفي حال مستعملها بازدراع[٣٣] أو بيع أو شراء ، أو شرب[٣٤] فأول ما نظرت في ازدراعها فوجدتها تنبت في الأماكن الدمنة[٣٥] الهنية[٣٦]

---

[٢٨] سورة (ص) آية ٢٤.

[٢٩] هذا من المؤلف رحمه الله من باب التفاؤل لشدة كراهيته لها.

[٣٠] في الأصل انشاءالله، والصواب ما أثبته.

[٣١] ملابسها: أي مستعملها.

[٣٢] انظر إلى هذا التنبيه من المؤلف رحمه الله كيف ربط بين المستعمَل والمستعمِل وأليس الثاني مساوىء الأول.

[٣٣] زراعتها والقيام عليها حتى تصل إلى مرحلة البيع.

[٣٤] عمم المؤلف رحمه الله كل من يعين على انتشار هذه الشجرة الخبيثة من زارع وبائع ومشتر وشارب ممن يتعاون على الإثم والعدوان.

[٣٥] الدمنه دمنت الماشية المكان تدميناً فهو مُنْدَمِنْ(٢٠).

[٣٦] اللينة الحقيرة.

---

(٢٠) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٢٥.

المـوبية[٣٧] ، وفي المـزابل[٣٨] ومجـامـع الأوسـاخ[٣٩] ،وتكـون شجرتها ردية الشكل ، ذات زغب ولـزوجة[٤٠] رديـة ، ولها ريـح ضعيفة تحرق المنخر[٤١] لريحتها المنتنة ، ثم إن مزدرعها[٤٢] لا يبرح في ذلة ومهانة ووجل من كل مطلع عليها في زراعتـه[٤٣] ثم نظرت حال بائعها ومشتريها فوجدتهما قد لبسا ثوب المذلة والمهانة والخوف على أنفسهما من الافتضاح بها عند أهل الدين والمروءة إن حملها في طريق أو وصل بها الأسواق فهو خائف في طريقة من كل

---

[٣٧] المصابة بالوباء شبهها بمن أصيب بالمرض.

[٣٨] المزابل أماكن القمامة.

[٣٩] أماكن وضع الأوساخ وإشارة إلى نجاستها واشتمالها على مختلف الأوساخ.

[٤٠] الدخان يزرع في البلاد المعتدلة وتصل شجرته إلى حدود خمسة أمتار ولكنها في غـالـب الأحيان لا تتجـاوز المتر ونصف المتـر وسيأتي مزيد وصف لشجرته عند تعريفه إن شاء الله.

[٤١] الأنف وهـذا ثابت طبياً وواقعاً ويعتـرف بـه كـل من يستعمـل الدخان.

[٤٢] زراعتها.

[٤٣] هذا دونما شك في المجتمعات المحافظة التي تنتشر فيها الفضيلة وتخفي فيهـا الرذيلة وكفى بـذلك دليـلاً على كراهيتهـا. يقول المصطفى ﷺ «الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٢١).

---

(٢١) رواه مسلم صحيح مسلم جـ ٨ ص ٧.

من يصدفه في الطريق[٤٤] ، ويجلس بها في أخسر المجالس الخفية بين أوساخ ونحوها[٤٥] ، كي يظن أنه قد خفي مكانه فيها ويقصده إليها لأخذها منه الخشاش[٤٦] من الناس إلى تلك الأماكن الخسيسة[٤٧] ، ثم أن أهل الحوانيت[٤٨] الذين ولعوا بالبيع والشراء

---

[٤٤] هذا في زمن المؤلف وأما الآن فقد أصبح شربها في بعض المجتمعات الإسلامية مظهراً من مظاهر التمدن والرقي وهذا والعياذ بالله من انتكاس الفطر والإرتكاس في أوحال الرذيلة، وإذا كان كل مكان يمكن أن يتساهل فيه ويصدق أن يشرب هذا الوباء فيه فمن غير اللائق أن يشرب أمام بيوت الله بل أمام الحرمين إن ذلك والله مظهر من مظاهر الرجعية، والتخلف فهل تتظافر الجهود لمنع التدخين أمام بيوت الله وخصوصاً أمام الحرمين الشريفين.

[٤٥] هذا قديماً أما الآن فالدخان وللأسف الشديد يعرض مع سائر الطيبات من مختلف المطعومات والمشروبات.

[٤٦] ما لا دماغ له من دواب الأرض ومن الطير. ومثله حشرات الأرض والعصافير ونحوها(٢٢).

[٤٧] المقصود الأماكن التي وصفها المؤلف بأنها مليئة بالأوساخ والمزابل والقاذورات وغيرها.
وهذا فيما مضى، أما الآن فهي تعرض في سائر المحلات التجارية جهاراً نهاراً والعياذ بالله.

[٤٨] جمع حانوت وهي المحلات التجارية التي تباع فيها المأكولات والمشروبات.

---

(٢٢) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٢٨٢.

فيها وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فأنهم يحرصون على إخفائها في حوانيتهم ، ويجعلونها تحت ما يظهرون البيع والشراء فيه من المعاطير[٤٩] ونحوها ، وإذا قصد تسلل لاخراجها إلى القاصد لأخذها منه وهو مريب خائف يترقب . مع عدم ما يتخوف منه فأولى وأحرى مع التخويف له عليها ، وما ذلك إلا لخباثتها ورخصتها وخسّتها .

ألبست ملابسها الذل والرعب والإدانة على كل حال . وكستهم ثوب الوبال والهوان .

ثم إن آلتها التي تستعمل لشربها آلة شيطانية منها تركيب المباعة[٥١] بتلك الآلة وعلى تلك الهيئة ، وجعل الماء فيها للقرقرة

---

[٤٩] العطر بالكسر الطيب والعاطر محبه والعطار بائعه والعطارة بالكسر حرفته وامرأة عاطرة ومعطارة ومعطره ومتعطرة ومعطير ومعطار(٢٣) . وقال في مختار الصحاح . . . . ورجل معطير بالكسر كثير التعطر وامرأة معطيرة أيضاً ومعطار(٢٤) .

[٥٠] بالهامش تعليق هذا نصه . . أما الآن فقد صارت هذه الشجرة الخبيثة بالعكس مما كان حال ملابسها عليه وحصل التفاخر في التظهّر بها وعظم المتجر فيها(٢٥) .

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[٥١] هذه إحدى الطرق التي كان يستعمل بها الدخان في ذلك الوقت وهي قريبة من الشيشة التي تستعمل في هذا الوقت وفي كلّ شرٍّ .

---

(٢٣) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢٤) مختار الصحاح ص ٤٣٩ .

(٢٥) هذا قبل زمن طويل فكيف بالحال اليوم .

المصدية للأسماع وتغيّر الماء فيها إلى حالة بول الحمير وأعلى منه درجة في اللون والشم ثم قطرانه الذي يجتمع في قطب المباعة وأسفل البوري فيه من الرداءة والنتن واللزوجة التي لا تكاد تتحلل إذا وقعت في يد أو ثوب أو نحوهما وإن أمعن الغسل[٥٢].

ثم البوري الذي جمعه بوار، فإذا أثبتت الياء فيه صار مضافاً إلى[٥٣] المتكلم (أعاذنا الله من البوار في هذه الدار ودار القرار)، ثم وضع هذه الشجرة الخبيثة في البوري وجعل النار في أعلاها وكل طعام وشراب تصلحه النار من تحته إلا هذه الشجرة الخبيثة فالنار تفسدها من فوقها[٥٤]، ويستجره الشارب له إلى فيه من القصبة التي هي منقار الشيطان فيجرّ منها دخاناً طلعه ﴿كأنه رؤوس[٥٥] رؤوس الشياطين﴾، ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾[٥٦] فيسول له الشيطان أن فيه نفعاً وهو لا يسمن

---

[٥٢] تجتمع الأوساخ وتترسب فإذا أصاب الثوب أو البدن منه شيء عزت إزالته عنه.

[٥٣] أنظر إلى هذا التنبيه اللطيف من المؤلف رحمه الله حرصاً منه على التنفير منها وإبعاد الناس عنها.

[٥٤] أنظر إلى هذه المقارنة الجيدة من المؤلف كيف أن الأطعمة الطيبة والأشربة الحلال تمسها النار من تحتها، وأما هذا الشراب الخبيث فالنار تمسه من فوق ـ وهذا في زمن المؤلف ـ وأما الآن فالنار تمس الدخان من طرف ويشرب من الطرف الآخر.

[٥٥] سورة الصافات آية ٦٥.

[٥٦] سورة الدخان آية ١٢.

ولا يغني من جوع[٥٧] ويذهب أوقاته، وهو عاكف عليه وقد صفّر أسنانه وأنتن من ريحه فوه وكدر لونه وأرقّ جلْده وأضعف جلَده وأوها قوته، وأدق عظمه، وران صداه على قلبه وغير حواس لبه[٥٨]، وأمذر منيه فلا يرى مولوداً للمستعمل له إلا رديء النشأة منهوك البدن ضعيف القوى، حقير الجثة لما قد لحق النطفة من أمذار الدخان له[٥٩].

---

[٥٧] هذه الأصاف من المؤلف لشدة التنفير منها لأنه رحمه الله عايش ضررها البالغ فكيف لو عرف حال الناس في هذه الأوقات وما تسببه هذه العادة القبيحة من الأمراض الكثيرة عافانا الله من كل بلاء.

[٥٨] سنشير في مبحث لاحق إلى الأضرار المترتبة على استعمال الدخان وهي مستقاة من الواقع ليس فيها مبالغة ولا تهويل.
يقول صاحب تبصرة الأخوان (...... فمن مضراته الكلية تخريب كريات الدم ومنها تأثيره على القلب بتشويش انتظام ضرباته ومنها معارضته القوية لشهية الطعام ومنها انحطاط القوى العصبية عامة وهذا يحصل بالخدر والدوار الذي يحدث عقب استعمال التدخين لمن لم يأتلفه ولمن كان مؤتلفاً له وانقطع عنه مدة عشر ساعات تقريباً كما يحصل ذلك للصائم عند استعماله له عقب الصوم.....(٢٦).

[٥٩] لقد أثبت الطب الحديث ما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى، يقول الدكتور فورت مدير مركز سان فرانسيسكو لحل المشكلات =

---

(٢٦) تبصرة الأخوان ص ٩، ١٠، مرجع سابق.

وأيضاً فإن فيه إتلافاً للمال حيث ينفق المستعمل له بعض ماله في هذه الشجرة الخبيثة[٦٠]. وتجد سيما مستعمليه في باطن الأصابع

= الاجتماعية والصحية «أن الأغلبية الساحقة من الرجال الذين يشكون من العقم والضعف الجنسي تحسنت حالتهم بعد الإقلاع عن التدخين، ويقدم النصيحة ذاتها للسيدات المدخنات اللاتي يشكون من العقم أو البرود الجنسي(٢٧).

ويقول الدكتور محمد علي البار (. . . أثبتت الدراسات الطبية والتجارب المعملية أن للتدخين آثاراً خطيرة على الجنين والرضيع وأنه يصيبها بأمراض خطيرة قد تؤدي بحياتهما وإن عاشا صاحبتهما الأمراض في البدن والقلب وأجهزة التنفس(٢٨). . . إلخ.

[٦٠] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (. . . . وأما مضاره المالية فقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وأي إضاعة أبلغ من حرقه في هذا الدخان الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ولا نفع فيه بوجه من الوجوه حتى أن كثيراً من المنهمكين فيه يغرمون الأموال الكثيرة وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة، وهذا انحراف عظيم وضرر جسيم فصرف المال في الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه فكيف بصرفه بشيء محقق ضرره(٢٩). . . .).

---

(٢٧) التدخين وأثره على الصحة لمحمد علي البار ص ١٣٤.

(٢٨) أنظر تبصرة الأخوان ص ٦.

(٢٩) حكم شرب الدخان ص ١٢.

الثلاث من لقط[٦١] النار بها وتذريمها[٦٢] في البوري. فقد صارت هذه الثلاث الأصابع حارقة[٦٣] منقعة[٦٤] من النار، مشـوهة[٦٥]. سيماهم في أصابعهم من أثر النار[٦٦]، ثم فـراش أماكن شـاربها تجده حارقاً[٦٧] منذّلاً[٦٨] من كثرة تساقط نار البوري عليه وشمّها من نتن هذه الشجرة كشمّ شاربيها[٦٩]، فرأيت أن هذه حالة لا تخلو من

---

[٦١] المقصود السبابة والإبهام والوسطى لأنها هي التي يلقط بها الجمر المتساقط ـ كما هو الحال في الشيشة الآن.

[٦٢] أي تكسيرها فكأنه يضرب الجمر بهذه الأصابـع لكي يوازنـه في البوري ـ كما هو الحال في مدخنة الطيب مع الفارق الكبير بين الخبيث والطيب.

[٦٣] أي محرقة وهذا أمر ملموس في الواقع.

[٦٤] أي تـظهر آثـار النار عليهـا فتصيبها بـالبقـع وهـذا أمـر مشـاهـد ومحسوس.

[٦٥] كثير من مستعملي الدخان والشيشة تلحظ آثار ذلك على أصابعهم إذ تجد فيها شيئاً من التشوية في الشكل أو اللون.

[٦٦] هذا وصف بديع فكأن المؤلف يقول نستدل على هؤلاء زيادة على أسنانهم وشفاههم بأصابعهم للأثر الواضح فيها.

[٦٧] أي محرقاً.

[٦٨] أي ممزقاً وذلك أن سقوط النار عليه تجعله مخرقاً إذ أي جزء تسقط عليه النار تتلفه.

[٦٩] الرائحة الكريهة لشارب الدخان لا يختلف فيها اثنان بل إن الرائحة الكريهة لثيابه وفراشه وغرفته أمر لا يشك فيه أحد.

وهذه الرائحة مما يؤذي الناس ويؤذي الكرام الكاتبين وأذية الناس لا تجوز بحال من الأحوال.

التحريم[٧٠]، مع ما قاله مولانا أمير المؤمنين المتوكل[٧١] على الله حفظه الله حين سئل عنها فأجاب أنها من الخبائث التي تضمنها قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً

---

[٧٠] قد ذكر جمع من أكابر العلماء وجهابذة الأطباء أن من العقل فضلاً عن الشرع وجوب اجتناب التدخين حفظاً للصحة التي هي من الله تعالى أعظم منّه ومنحة ودفعاً لدواعي الضعف الذي هو من مقدمات الهلاك والدمار كما هو معلوم لذوي الاستبصار كيف وقد قال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة(٣٠)﴾(٣١).

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم (.... لا ريب في خبث الدخان ونتنه وإسكاره أحياناً وتفتيره وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح وكلام الأطباء المعتبرين(٣٢).

[٧١] المطهر بن محمد بن سليمان بن يحيى بن حمزة أبو محمد الملقب بالمتوكل على الله من أئمة الزيدية باليمن، ولد في أول القرن التاسع ودعا إلى نفسه سنة ٨٤٠ هـ، وأجابه جماعة من الزيدية وكان عالماً كبيراً ملك كحلان، وذمار وغيرهما. عارضه بعض معاصريه من الأمراء وما زالت الحال سجالاً بينهما يضعف تارة ويقوى أخرى حتى توفي في صفر سنة ٨٧٩ هـ بذمار ودفن بها(٣٣).

---

(٣٠) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٣١) تبصرة الأخوان ص ٦.

(٣٢) فتوى في حكم شرب الدخان ص ١/٢.

(٣٣) انظر الأعلام جـ ٧ ص ٢٥٤، والبدر الطالع جـ ٢ ص ٣١٢.

عندهم في التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث﴾[٧٢].

والله سبحانه وتعالى حرم الخمر لتخمير[٧٣] العقل إن كثر وحرم قليلها لتخمير كثيرها ووصفها بالنفع وجعل إثمها أكثر من نفعها[٧٤].

ولا شك أنها أرفع حالاً من هذه الشجرة لكونها مشروبة حقيقة وحالها أنزه من حال هذه الشجرة الخبيثة لولا ورود النهي بالتحريم لها[٧٥] والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله

---

[٧٢] سورة الأعراف آية ١٥٧.

[٧٣] تخمير العقل ستره وتغطيته لأن الخمر منقول من مصدر خمر الشيء، بمعنى ستره وغطاه وخمّرت الجارية ألبستها الخمار.
فشراب الخمر يستر العقل ويغطيه أو يخالطه، يقال خامره الداء أي خالطه(٣٤).

[٧٤] يقول تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. . . .﴾(٣٥).

[٧٥] لا وجه للمقارنة بين الخمر والدخان فالخمر أشد ضرراً وأسوأ حالاً وأكثر خطراً ويترتب على شربها من المفاسد ما لا يخفى بخلاف الدخان، فالضرر خاص بشاربه لا يتعداه إلى غيره إلا قليلاً بالنسبة لمجالسه وأهل بيته. وأما الخمر فهي أم الخبائث قد يترتب على السكر القتل والزنى والقذف وسائر الجرائم. ولكن هذا من المؤلف رحمه الله لشدة التنفير منها إذ كانت في بداية ظهورها وانتشارها ـ أعني شجرة الدخان.

---

(٣٤) الخمر وسائر المسكرات لأحمد بن حجر ص ٣٠.

(٣٥) سورة البقرة آية ٢١٩.

على سيدنا محمد وآله وسلم[٧٦].

نقل عن القاضي . . . . عبد العزيز[٧٦] عن شيخ الإسلام أحمد بن علي[٧٧] بن يوسف يروى عنه أنه وجد في كتاب القاموس المحيط[٧٨] بعلم الأنام أنه روى عن النبي ﷺ أنها ستخرج شجرة في آخر الزمان بأرض اليمن تسمى في لسان فارس تنباق وفي لسان الترك تتن أي دخان يستعملها الجهال شرباً وليس معهم دليل ولا اصطلاح عنها فذكر أنها تولد الغفلة عن ذكر الله تعالى وتقل الأيمان في قلوب المسلمين، ويقع على القلب من دخانها غشاوة سوداء وورق تلك الشجرة مثل آذان البغال فاجتنبوها فهي مما حرم الله ورسوله على عباده[٧٩].

---

[٧٦] بهذا انتهت المخطوطة لعماد الدين رحمه الله لكني وجدت تعليقاً طويلاً تبين لي أنه من الناسخ حيث إن التراجم التي أشار إليها متأخرة عن مؤلف المخطوطة بقرن من الزمان.

[٧٦] من هنا بدأ كلام الناسخ حيث وجد إشارة إلى أنها نسخت عام ١٠٥٥ هـ وهذا التاريخ يتزامن مع التراجم التي ذكرها في هذا التعليق والله أعلم.

(وعبد العزيز) لم أعثر له على ترجمة لأني لم أتبين من هو.

[٧٧] أحمد بن علي لم أعثر له على ترجمة لأني لم أتبين من هو.

[٧٨] لم أقف عليه.

[٧٩] لم أقف على هذا الحديث بعد طول بحث فقد راجعت ما بين يدي من مصادر ولم أطلع عليه ولكن مما أكاد أجزم به أن هذا الأثر لا تظهر عليه أنوار مشكاة النبوة ولكنني مع ذلك أتوقف حتى يتبين لي =

وقد قيل فيها شعراً[٨٠] لمولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين القاسم[٨١] بن محمد رضوان الله عليه وهو محرم لها وولده المؤيد[٨٢] بالله عليه السلام.

= فيه شيء أو يتفضل على من يطلع على هذا البحث فيدلني على مكانه في كتب الحديث فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

[٨٠] ذكر صاحب كتاب (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون)، أن لأمير المؤمنين المنصور بالله أبياتاً في ذم التتن ضمن مجموعة برقم ٩٦ بمكتبة الجامع(٣٦).

[٨١] هو القاسم بن محمد بن علي الرشيد الزيدي العلوي (الإمام المنصور بالله) محدث متكلم أصولي صاحب اليمن، ولد في صفر من عام ٩٦٧ هـ، وتوفي بشهارة في ربيع الأول من عام ١٠٢٩ هـ، من تصانيفه الأساس المتكفل بكشف الالتباس في أصول الدين والاعتصام في الحديث، الإرشاد، ومرقاة الوصول إلى علم الأصول(٣٧).

وهذا مما يؤكد أن هذا التعليق من الناسخ وليس من كلام عماد الدين صاحب المخطوطة لأن عماد الدين توفي عام ٨٧٥ فكيف يشير إلى من بعده والله أعلم.

[٨٢] محمد بن القاسم بن محمد بن علي من سلالة الهادي إلى الحق، =

---

(٣٦) أنظر حكام اليمن المؤلفون المجتهدون، تأليف عبدالله محمد الحبشي.

(٣٧) أنظر معجم المؤلفين جـ ٨ ص ١٢٠، والأعلام جـ ٥ ص ١٨٢، والبدر الطالع جـ ٢ ص ٤٧.

إذا أردت بـقـوم حـل قـارعـه
ومس ويـلات فـاسـقـهـم تـتـنـان
يـنـأى بـهـم ووسـواس لـشـاربـه
ويـورث السقـم والأوصـاب والخـزيـان
مـا أن رأيـنـافـتـى سـرى بـه أبـداً
إلا وفـي عـقـله أو ديـنـه فـتـقـان
يـكـفـيـه ذمـاً بـأن الله صـيـره
عـداد من يعبـد الأصنـام والـوثنـان[٨٣]

= إمـام زيدي عـظيم السلطان في اليمن، قام بعـد وفاة أبيـه سنـة ١٠٢٩ هـ، وانقادت له الديار اليمنية أعاليها وتهائمها وحضرموت، وأعمالها وكان عالماً متقناً صنف كتاب «تصفية النفوس» مخطوط، وفي أيامه خرج الترك من اليمن كافة، وولد سنة ٩٩٠ هـ، وتوفي بشهارة سنة ١٠٥٤ هـ(٣٨).

[٨٣] يلاحظ أن هذا الشعر غير مستقيم وزناً ولا معنى، وفيه ألفاظ نابية بل فيه مبـالغة غيـر مقبولـة، فكيف يقارن شـرب الدخـان بعبادة الأصنام والأوثان. ولكن الناس يتفاوتون في حكمهم على الأشياء قبولاً ورفضاً.

---

(٣٨) أنظر الأعلام حـ ٧ ص ٦ والبدر الطالع جـ ٢ ص ٢٣٨.

الفصل الأول

المبحث الأول

تعريف الدخان

التدخين مصدر فعله دخّن مضعفاً يدخن تدخيناً إذ صيغة التفضيل دائماً مصدر لفعل مضعّف العين كالتكليم من كلم والتسليم من سلم، والتعليم من علم، فالتدخين إذاً مصدر وهو فعل المرء المدخن إذا هو أشعل السيجارة أو الغليون وامتصها بشدقيه ليخرج بذلك دخاناً أبيض كثيفاً من فمه ومنخريه.

وله مع هذا أسماء أخرى مثل التتن يطلقه عليه غالباً أهل البلاد الذين يكرهون التدخين وينهون عنه، ومنها التبغ وهو الاسم الذي يعرف به الدخان في أغلب بلاد العالم وهو أصدق اسم أطلق عليه لأنه من كلمة «تباغوا» التي هي اسم لجزيرة في خليج المكسيك قد وجدت فيها هذه النبتة الخبيثة[1].

ومن أسمائه الطباق وسمته به العرب، وهو غير ما أشار إليه

(١) التدخين مادة وحكماً لأبي بكر الجزائري ص ٨.

الزبيدي في تاج العروس إذ الزبيدي رحمه الله ذكر طباقاً على وزن زنّار، وهما مختلفان تماماً وإن كان كل منهما نباتاً. . . فالطباق بالتشديد علاج بإذن الله، والطباق بالتخفيف سم زعاف والعياذ بالله.

ومن أسمائه تنباك وتنباق.

يقول الشاعر:[2]

يا شارب التنباك ما أحراكا
من ذا الذي في شربه أفتاكا
آثرته وتركت جهلاً غيره
تباً لمن قد آثر التنباكا

يقول مفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله ملخصاً كلام الأطباء حول الدخان (. . . . قالوا هو نبات حشيشي مخدر مر الطعم، وبعد التحقيق والتجربة ظهر أن التبغ بنوعيه التوتون والتنباك من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على أشر النباتات السامة لبلادنا والبرش والبنج وهما مركبان من أملاح البوتاس والنوشادر ومنه مادة صمغية ومادة حريفة تسمى نيكوتين قالوا وهي من أشد السموم فعلاً. . . .[3]).

---

(٢) هو العدساني أحد الشعراء المشهورين في الكويت وستأتي قصيدته ضمن القصائد التي قيلت في شرب الدخان.

(٣) فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ص ١١.

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدي (. . . التبـغ (التتن) شجرة أمـريكية الأصـل وتـزرع الآن في معـظم بـلاد العـالم فتبلغ من ١ ـ ١/٦٠ ـ متراً وهي تنبت في البلاد المعتدلة ولكنها في البلاد الحارة تنمو وتـرتفع حتى تصـل في الطول إلى ٥ أمتـار وأوراقها المجففة تستعمل سعوطاً (نشوقاً) وتدخيناً ومضغاً. . .[٤]).

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة (دخان ناتج غازي منظور لاحتـراق غير كـامل يتـركب من دقائق الكـربون ومـواد قـطرانيـة أخرى. . .[٥])

(وتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية. . . .)[٦].

---

(٤) دائرة معارف القرن العشرين جـ٢ ص ٥٢٦.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص ٧٨٥.

(٦) المرجع السابق جـ١ ص ٤٨٩.

المبحث الثاني

اكتشافه وتاريخ ظهوره

يكاد الباحثون يتفقون على أن بداية معرفة الدخان كانت مصاحبة لاكتشاف أمريكا أي في حدود عام ٩١٢ هـ - ١٤٩٢ م. يقول الأستاذ محمد فريد وجدي (هذه العادة لم تكن موجودة قبل اكتشاف أمريكا في القرن الخامس عشر وسبب سريانها في أوروبا هم النوبية الأسبانيون فإنهم رأوا متوحشي أمريكا يدخنون فقلدوهم، وجاءوا بهذه العادة إلى أوروبا فانتشرت فيها ولما شخص كريستوف كولومبس إلى أمريكا بعث في سنة ١٥١٥ م إلى أسبانيا بذور هذه الشجرة لتزرع بصفة نبات طبي كان يعزى له بعض الفوائد في بعض الأمراض - ولم يتخيل إنسان أن تدخين هذا النبات السام الذي من مركباته - النيكوتين - المهلك سيكون في جيل من الأجيال من الشيوع والانتشار، بحيث يكون نسبة باعة الخبز إلى باعة التبغ كنسبة ١ إلى ١٠ . . . .)[١].

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة (. . . . . وانتشرت زراعته

---

(١) دائرة المعارف القرن العشرين جـ ٢ ص ٥٢٦.

بالأمريكتين قبل وصول الأوروبيين بـزمن طويـل وكولـومبس أول الأوروبيين الذين عرفوه، أدخل إلى أوروبا سنة ١٥٥٦ م واستعمل نباتاً للزينة وللأغراض الطبية ولم تنتشر عادة التدخين في أوروبـا حتى ١٥٨٦ م. . . .)[٢].

ونقل الدكتور المنصور عن بعض البـاحثين قولـه (. . . وذكر بعضهم أنه وجد في جهات من بلاد فارس نباتـاً من طبيعته قبـل اكتشاف أمريكا بـ ٣٠٠ سنة وبعدما اكتشف فيها ذاع استعماله في أوروبا وذلك أن قبطاناً انجليزياً من بحـارة البحر الأحمـر يسمى (دراك) حمله من أمريكا إلى انكلترا ثم امتد استعماله إلى فرنسا، ومما يثبت أن منشأه أمريكا لا الشرق قول أحد مشاهيـر الأندلس (لمينان) انه انتشر في أوروبا قبل معرفة بلاد الشرق له بما يزيد عن ١٠٠ سنة، وثبت أيضاً في التاريخ أنه بعدما اشتهر في المغرب أخذ يتسرب إلى بلاد المشرق شيئاً فشيئاً حتى فشا استعماله. . .)[٣].

والذي يظهر أن الدخان كان معروفاً قبل اكتشاف أمريكا، ولكنه لم ينتشر ويشتهر إلا بعد اكتشافها والمخطوطة التي بين أيدينا دليل على ذلك إذ مؤلف المخطوطة توفي قبل اكتشاف أمريكا وهذا أمر واضح الدلالة على ما نقول.

---

(٢) الموسوعة العربية الميسرة جـ ١ ص ٤٨٩.

(٣) الدخان في نظر الإسلام للدكتور صالح المنصور ص ٤.

الفصـــل الثـــاني

أسباب انتشـــاره

تمهـــيد:

إذا تبينا ما قرره العلم وأثبته الطب من أن التدخين مـا هو إلا انتحـار بطيء وقتـل للصحة وتضييـع للنشاط والحيـويـة ومجلبـة للأمراض الكثيرة وأشدها وأخطرها القلق النفسي وتوتر الأعصاب وضعف الغيرة، إذا كان كل هذا ثابتاً فكيف يقدم الشخص بمحض اختياره ورغبته على ما يرديه ويهين كرامته ويقلل منزلته في أعين الناس، وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إن كثيراً من الناس لا يفكر في الخطوة التي يقـدم عليها بـل يتناول أحياناً ما يضره بدافع الشهوة وإشباع الرغبة الوقتية متناسياً كل العواقب والمصائب التي تخلقها، ثم بعد لحظات من مفارقته لهذا الأمر أو ذاك يندم ولات ساعة مندم.

ولقد رأيت أن أهم أسباب تعاطيه وانتشاره هي ما يأتي.

المبحث الأول

القرين

فإذا كان الشخص يخالط أشخاصاً يدخنون فلن يفلت من شراكه لأنه يشمه معهم بل وفي غالب الأحيان يشجعونه عليه ويجرونه إليه، والنفس بطبيعتها نزاعة لحب الممنوع وصدق المصطفى ﷺ حيث يقول: (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك أما أن يحذيك أو تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحاً خبيثة)[1].

وصدق الشاعر* إذ يقول:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولقد تغرست في حال كثير من الشباب الذين أعرفهم ونظرت في أسباب شربهم للدخان فوجدته القرين السيء فهل يعي الآباء والمربون ذلك؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري جـ ٧ ص ١٢٥، وصحيح مسلم جـ ٨ ص ٣٨.

* قائله الشاعر عدي بن زيد العبادي وينسب إلى طرفة بن العبد انظر قول على قول للكرمي جـ ١ ص ٢٥٠.

المبحث الثاني

البيئة

البيئة المحيطة بالشخص فإذا كان الطفل في البيت يرى أباه يدخن أو يرى أخاه الأكبر أو يرى أحد أقاربه أو من يكثر جلوسه معه إذا كان يرى هؤلاء يدخنون وإذا خرج للشارع رأى كثيراً من الكبار والصغار يدخنون وإذا ذهب إلى المدرسة رأى المدرسين كذلك، وإذا ذهب لدائرة حكومية شاهد الدخان في كل مكتب إذا كانت هذه هي البيئة التي تحيط بالشاب فهل ترجو منه أن يسلم من الدخان إلا من سلم الله سبحانه، وقليل ما هم فلو أن المبتلي بشربه لم يجمع إلى سوء ما يفعل من شربه سوءاً آخر هو المجاهرة والمكابرة لكان ذلك أصلح له وللآخرين لئلا يكون قدوة سيئة يقتدي به الآخرون ولو سألته نفسه أترضى أن يدخن أحد مثلك لقال لا لشدة ما يعاني من ويلاته وبلائه.

* * * *

المبحــث الثالــث

الشعــور بالنقــص

الشعور بعقدة النقص عند كثير من الشباب الذين يدخنون ذلك أنه يرى أن شخصيته لا تكتمل إلا بشربه وقد التقيت بمجموعة من الشباب في أحد السجون، وبعد نقاش طويل حول التدخين قال لي أحدهم الواقع إننا ندخن مثل الكبار ليقال إننا رجال فسبحان من بيده تصريف العقول والأرزاق.

* * * *

المبحـث الـرابع

التقليـد الأعمـى

التقليد الأعمى في بداية الأمر دون نـظر أي عواقب بـل تجد الشاب يجلس مع زميل أوصديق فيتناول معه الدخان تقليداً له دون دوافع أو رغبة ثم في النهاية يصبح عادة يصعب التخلص منها[٢].

(٢) التدخين في ضوء العلم الحديث: ابراهيم محمد الضبيعي ص ١٨/١٩.

المبحث الخامس

الدعاية

الدعاية القوية له بكل صورها وأشكالها، ولقد نجح الأعداء في استخدام هذا السلاح المدمر واستطاعوا نشره حتى في صفوف الجيوش وأجهزة الأمن وأساتذة الجامعات، بل وفي صفوف النساء أحياناً فمتى فتحت مجلة سيارة وجدت على صفحتها الأولى عبارة الدخان رمز المتعة والحرية، الدخان ينسيك التعب والإجهاد. الدخان راحة وهدوء بال ثم ترى رسمة من أجمل أنواع الرسم لشاب يضع الدخان بيده، أليست مثل هذه المجلة رسولاً لكل لبيب [إلا من شاء الله] يقرؤها الصغير والكبير، الذكر والأنثى.

* * * *

المبحث السادس

سهولة الحصول عليه

سهولة الحصول عليه ويسره وذلك لوفرة الناحية المادية ولعرضه في كل مكان، فتجد الباعة يبيعونه في كل مكان على الصغير والكبير، ثم إن قيمته رمزية يستطيعها الطفل الصغير، ومما يؤسف له أن شربه أصبح مجالاً، للتنافس بين الأطفال، وتلك والله نكسة ما بعدها نكسة، فهل تصحو الضمائر ويفيق العقلاء ويضعون حدوداً لهذا التساهل في عرضه وبيعه في كل مكان، بل ويضعون حداً لشربه في الأسواق والمكاتب والأماكن العامة والحافلات والمدارس والحدائق وغير ذلك.

إن الحزم هو طريق السلامة في مثل هذه الأمور وما أصدق ما قيل[3].

قسى ليزدجروا ومن يك حازماً
فليقس أحياناً على من يرحم

(٣) قائل هذا البيت الشاعر أبو تمام ديوان أبي تمام ص ٢٠٧.

المبحث السابع

التساهل في التربية

التساهل التام في التربية والتوجيه وعدم المتابعة للأولاد بل عدم مراقبتهم أثناء خروجهم من البيت أين يذهبون، ومع من يجلسون ومن يصاحبون وعلى أي شيء تكون مجالسهم. أن الأولاد أمانة وسنسأل عنهم يوم القيامة هل قمنا بالواجب أم لاء فلنعد للسؤال جواباً.

* * * *

المبحــث الثـامـن

التقصــير فـي مكافحتــه

تقصير الجهات العامة والخاصة الرسمية وغير الرسمية إذ لم تقم بدورها كما ينبغي فلا يكفي أن نضع إعلانات بمنع التدخين بل لا يكفي أن نضع أسبوعاً لمكافحة التدخين بل لا بد من وضع الرقابة الصارمة على الموردين ومتابعة الموزعين والأخذ على يد الشركات التي تضـع الإعلانـات وتمتص دمـاء النـاس وأمـوالهم بـإحـراق أكبـادهم، ولا بد من دور ريـادي للمصلحين والمعلمين وأوليـاء الأمور وذلك بالتوجيه والتوعية وبيان الأخطار والأضرار وبفضل الله ثم بفضل هذه الجهود نضع أقدامنا على الطريق الصحيح بمشيئة الله.

* * * *

المبحـــث التـاســع

أسباب أخرى

وعن أسباب انتشاره يقول الشيخ ابن جبرين (. . . . ولقد كنا في هذه البلاد قبل سنوات نعده أمراً منكراً وقل أن يشربه سوى سوقة الناس، وسقطهم ويشربونه بخفية وخوف، أما الآن فقد شربوه علناً وجهاراً وابتلي به الكثير من الفضلاء والمديرين والأطباء والمربين والموجهين. . . .)

ومن أسباب إنتشاره:

أولاً : وسوسة الشيطان. . .

ثانياً : دعاة الضلال. . . .

ثالثاً : دعايات المدخنين. . . .

رابعاً : إعلان الدخان بيعاً وتعاطياً. . .

خامساً: إنتشار المطاعم والمقاهي العامة. . .

سادسا: تقصير الآباء والمربين. . . .(٤)

---

(٤) التدخين مادته وحكمه في الإسلام لإبن جبرين ص ٨١/٧٧.

الفصـــل الثـالـث

أضـــراره وآثـاره

تمهيد:

إذا أردنا أن نقف على ضرر التدخين فلا بـد من بحث معنى الضرر والمحل الذي يصاب بالضرر، أما الضرر فإن لفظه يـدل على عدة معان كلها تدور على كون الشيء خاليـاً من المنفعة أو مسبباً شدة وضيقاً أو سوء حال أو نقصاً في شيء آخر.

وأما المحل الذي يصاب بالضرر فهو بالنسبة إلى المسلم دينه وبدنه وعقله وعرضه وماله، وهذه هي الكليات الخمس التي أطبقت الشرائع الآلهية على صيانتها للإنسان وحفظهـا عليه إذ هي قـوام حياته وعليها مدار سعادته في الدنيا والآخرة.

ومن هنا وضعت الشريعة الإسلامية العقوبات الزاجرة لكل من يفسـد على المسلم هذه الكليـات أو يضـره فيهـا بـأدنى ضـرر، فوضعت عقوبة القتل لمن جنى على انسان بقتل أو فساد عقله أو دينه، ووضعت عقوبة القطع لمن يسرق مال غيره، وعقوبة الرجم حتى الموت لمن ينتهك أعراض الناس فيزني بنسائهم، وعقـوبة الجلد لمن يقذف المحصنين فيخل بشرفهم ويمس بأعراضهم وهم

اعفاء طاهرون، وعدّت شريعة الإسلام كل ما أدخل ضرراً أو نقصاً على تلك الكليات منفردة أو مجتمعة جناية محرمة يستوجب فاعلها العقوبة عليها، وأن كل ضار بها أو بواحدة منها هو ممنوع الإستعمال فاسد الإعتبار قبيح الصورة لا يصح فعله ولا يجوز إقراره والسكوت عليه.

وبعد هذه المقدمة نتساءل هل في التدخين ضرر وجواباً على ذلك نقول نعم أن فيه أضراراً بالغة على الدين والبدن والعقل والمال والعرض من جهة عامة وفيه أضرار أخرى أصبحت في حكم المقطوع بها لأن الناس يلمسونها في واقعهم أفراداً ومجتمعات(٥).

---

(٥) التدخين لأبي بكر الجزائري ص ٢٠/٢١.

المبحــث الأول

أضرار التدخين على الدين

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقـع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصـدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾[٦].

ذكر تعالى من أسباب تحريم الخمر والميسر الصد عن الذكر وعن الصلاة وهذه العلة متحققة في الدخان، فإنَّ شاربه في العادة يهرب من حِلَـقِ الذكر والقراءة ويألف اللهو والباطل عادة وهو غـالباً من أكسل الناس عن الصلاة وأبعدهم عن حضور المساجد إلا ما شاء الله، ومن صلى منهم رؤيت عليه آثار التثاقل فهو لا يأتي الصلاة إلا متأخراً ولا يخشع فيها ويتصرف مسرعاً قبل الذكر والراتبة وتثقـل عليه النوافل الأخرى.

وهكـذا سائـر العبـادات وبـالأخص الصيـام فـأنـه أثقـل على المـدخنين من غيـره لأنهم بـه يمسكـون عن شهــوتهم وسلوتهم ـ حسب زعمهم ـ وينالهم بتركة آلام وصعوبات نفسية ولهذا يفطر

---

(٦) سورة المائدة آية ٩١.

كثير منهم. ولقد رأينا بأنفسنا أشخاصاً يفطرون بالدخان وعلى الدخان، ولقد سئلت في رمضان المنصرم ١٤١٠هـ عن حالة غريبة جداً حيث حضر عندي شاب تبدو عليه علامات الصلاح والتقى ولكنه مبتلي بشرب الدخان بسبب رفقة سيئة في بعض فترات حياته، وقد سألني قائلاً ما الحكم على شخص دخل عليه رمضان وخرج وهو يومياً يدخن أكثر من سيجارة ولكنه لا يتناول أي نوع من المفطرات عدا الدخان.

هذه صورة لجزء من الواقع فهل هناك ضرر أعظم من هذا الضرر على ركن من أركان الإسلام.

ومن أضراره على الدين أن المدخن يؤذي الحفظة من الملائكة الكرام الكاتبين إذ هو بقوة الدخان الأبيض برائحته الكريهة على الملكين وهما يتأذيان من كل رائحة كريهة كما وردت بذلك النصوص الصحيحة.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (.... ومن مضاره الدينية أنه يثقل على العبد العبادات والقيام بالمأمورات خصوصاً الصيام وما كره العبد للخير فإنه شر....)[٧].

---

(٧) حكم شرب الدخان ص ٩.

المبحث الثاني

أضرار التدخين على البدن

إن الأجسام البشرية محترمة ومحرمة معاً فلا يحل إصابتها بأي أذى.

والتدخين مضر بالجسم فاتك به يعرضه للتلف والهلاك.

ولعل من خير من يحدثنا عن ضرره على الجسم الدكتور محمد علي البار الطبيب العالم الذي يجمع بين الطب والعلم في أبحاثه المتميزة يقول حفظه الله[8]: «إن في التبغ مواد سامة كثيرة أخطرها مايلي:

١ ـ النيكوتين وهو أخطر السموم التي عرفها الإنسان حتى اليوم إذ يكفي في قتل إنسان في أوج شبابه أن يعطي منه مقدار «مللجرام» وهو جزء من مليون من الكيلوغرام في وريده مع العلم أن السيجارة الواحدة لا تخلو أبداً من ملليجرام إلى ثلاثة منه بحسب كبرها وصغرها وتركيبها.

---

(٨) التدخين وأثره على الصحة ص ٢١/ ٣١/ ٣٦/ ٣٧/ ٤٦/ ٦٤/ ٦٩/ ٧٠، علماً أن هذه المعلومات منثورة في تلك الصفحات.

٢ ـ غاز أول أكسيد الكربون وهو غاز سام يستنشقه المدخن فيسبب له نقصاً كبيراً في كمية الاوكسجين الموجودة في دمه مما ينتج عنه أن تدخين عشرين سيجارة في اليوم يفقد المرء خمس دمه ومعنى هذا أنه فقد خمس كافة جسمه، وأي ضرر أكبر من هذا الضرر؟

٣ ـ القار أي الزفت أو القطران ويوجد في كل سيجارة ما بين ١٥ـ ٣٠ مليجراما من هذه المادة السامة والتي يتسبب عنها للمدخنين إلتهابات الشعبة الهوائية الحادة والمزمنة، ثم يقرر الدكتور البار بعض المعلومات الثابتة طبياً فيقول:

١ ـ إن كل سيجارة تدخن تنقص من عمر المرء خمس دقائق ونصفاً وهو نفس الوقت الذي يقضيه المرء في تدخين السيجارة.

٢ ـ تقول الإحصائيات الرسمية التي نشرها تقرير الكلية الملكية ببريطانيا عن التدخين أن من بين كل ثلاثة مدخنين واحداً منهم على الأقل سيلقي حتفه قبل الإوان بسبب التدخين.

٣ ـ أن أمراض السرطان ـ الربو ـ العقم ـ ضعف النسل ـ تصلب الشرايين ـ تشويه الجنين ـ جلطات القلب ـ كل هذه الأمراض أثر من آثار التدخين وهي أضرار بالغة بالإنسان لا يصح معها أي شك في حرمة التدخين ووجوب تركه والإبتعاد عنه وإلا فعلى الدين والعقل العوض والسلام.

* * * *

المبحث الثالث

أضرار التدخين على العقل

العقل هو النعمة التي امتاز بها الآدمي عن غيره من سائر الحيوانات، وهو مناط التكليف إذ غير العاقل لا يكلف فعلا ولا تركا. ومن هنا كان كل ما يعرض العقل البشري للضعف أو التلف من سائر المؤثرات الداخلية أو الخارجية محرماً تحريماً شرعياً لا يحل استعماله ولا يجوز إرتكابه أبداً.

ولأجل ذلك حرم الأسلام الخمر والحشيشة وسائر المسكرات والمخدرات، على اختلافها وتباين أجناسها ووضع لها حداً زاجراً.

صيانة للعقل وحماية له من كل ما يؤثر عليه وإذا أمعنا النظر في الدخان وجدناه يؤثر في العقل ويضريه ولا أدل على ذلك من أن شارب الدخان إذا فقده يكاد يسقط صريعاً فضلاً عن قلة نشاطه وعطائه وضعف تفكيره وتحصيله ويتضح لك ذلك جلياً لو تحدثت مع أحد المولعين به، وقلت له لو منع عنك الدخان فترة طويلة لرأيته يقول لك دون حياء أني أكاد أجن لو فقدته أو أن الموت أرحم من فقده، ولقد قابلت شباباً صغاراً في بعض السجون وسألتهم عن سبب سجنهم فقالوا شرب الدخان وتبا لعادة تأسر صاحبها حتى تدفعه للسرقة.

المبحث الرابع

أضرار التدخين على المال

اهتم الاسلام بالمال اهتماماً بالغاً وقرن حرمته بحرمة النفس والعرض بل قدمه في معرض البذل والانفاق في سبيل الله على النفس ورفع منزلة من يقتل دون ماله فجعل له الشهادة.

ونهى الإسلام عن اعطاء السفهاء أموالهم خشية ضياعها وحرم أكل مال اليتيم بغير وجه حق، ونهى عن التبذير والاسراف إلى غير ذلك من أوجه العناية بالمال.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على أضرار الدخان المالية لعلمنا أن الثمن الذي يشتري به الدخان قل أو كثر يعد اتلافاً للمال وإحراقاً له وإفساداً وتضييعاً فلا يحل بوجه من الوجوه لأنه مال ينفق في إدخال الضرر على الإنسان.

وهذا الضرر متحقق وثابت كما سبق، أن ما ينفقه متوسط الناس يومياً في شراء الدخان يبلغ خمسة ريالات، فبماذا تصرف هذه النقود أتصرف في مأكل مباح أو في مشرب طيب لا والله أنها تصرف في شراء موت محقق، ولو أن الأمر اقتصر على الشخص نفسه لهان الأمر بل تجده أحياناً فقيراً معدماً ينفق على أسرة كبيرة فيقتطع من

نفقة أسرته ويشتري هذا الوباء الخبيث، بل أحياناً تبيت أسرته طاوية من أجل إرضاء شهوته وهناك من عرفناه يستدين وتتراكم عليه الديون ليشتري الدخان ويتلذذ به على حساب نفسه وأسرته.

ترى أخي القارىء لو رأينا انساناً يذهب كل يوم إلى البحر ويرمي فيه ريالاً ماذا نعد هذا الشخص أنعده كريماً سخياً عاقلاً لأنه يتلف كل يوم ريالاً أم نقول فلان مجنون يضيع أمواله هدراً بل وندعو للحجر عليه لئلا يضيع أمواله رحمة بنفسه وبأسرته.

إذا كان هذا حال من يرمي ريالاً في البحر أو يحرقه في النار فكيف بحال من يحرق هذا الريال ويكتوي بناره ويضر دينه وجسده وعقله وعرضه وماله أن هذا الشخص أشد جنوناً وأولى بالحجر من الشخص الأول، ولكن تغير أحوال الناس وفساد طباعهم وانتكاس فطر الكثير منهم جعل شراء هذا الوباء سائغاً مقبولاً بل ومحبوباً للنفس.

* * * *

المبحث الخامس

أضرار التدخين على العرض

حرص الإسلام على صيانة العرض والحفاظ عليه، ووضع لذلك الحدود الزاجرة وعدّ المساس بعرض المسلم جريمة يعاقب عليها بأشد العقوبات وأنكاها.

والسؤال هل للتدخين أضرار على العرض، والجواب بكل بساطة نعم له أثار كبيرة ولعل القصة التي سقناها أكبر دليل واقعي على ضرر الدخان على العرض حيث أن المرأة العفيفة الشريفة أرخصت عرضها في سبيل الحصول على الدخان.

ثم أن المرء قبل أن يشتهر بين الناس بالتدخين لا يجرؤ حياء أن يدخن أمام أقاربه كأبويه وأخوته وأعمامه وأخواله ولا أمام أهل الفضل والصلاح كالعلماء والصالحين من الناس، وهذه ظاهرة معروفة لا تنكر وتفسيرها هو شعور المرء بقبح التدخين لأنه مثار الشهوة والهوى ولأنه من عمل غير الصالحين، وهذه شهادة الفطرة السليمة على أن التدخين ماس بالعرض مضر به وكفى بها شهادة. . . . .

ولو أن إماماً يخطب الناس على منبره يوم الجمعة، وجلس بين

الخطبتين لتلك الاستراحة القليلة فأخرج سيجارة وأشعلها يدخن بها أثناء خطبته لخرج الناس كلهم من المسجد وهم يلعنونـه وما صلى معـه أحد ومـا ذلك إلا أن تعـاطي الدخـان يتنافي وكمـال الإيمان، وأنه مظهر من مظاهر الهبوط النفسي وهو دليل على أضرار التدخين بالعرض والكرامة والمروءة[٩].

* * * *

(٩) انظر التدخين لأبي بكر الجزائري ص ٣٠.

المبحث السادس

أضرار أخرى

وللتدخين أضرار صحية، فهو يعد ألد أعداء الصحة ومن أضراره الصحية:

١ - السموم الموجودة في الدخان تفتك بالأغشيه الرقيقة الملتفه حول الاوتار الصوتية فيسبب ذلك البحة عند المدخن.

٢ - يسبب التدخين ضيقاً في التنفس بسبب خراب الأكياس الهوائية في الرئتين ويسبب آلاماً في الحلق.

٣ - يضعف حاسة الشم والذوق والنظر والقدرة على تمييز الألوان.

٤ - يزيد من عدد نبضات القلب فينتج عن ذلك السكتة القلبيه.

٥ - تتكدس السموم في الكبد فيشعر المدخن بالتعب والارهاق لأي مجهود لأن الكبد لا تستطيع حجز السموم بهذه الكثره.

٦ - ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين الذي يؤدي إلى موت الفجأة.

٧ - أثبت أحد الأطباء أن التدخين هو سبب مباشر لسرطان الرئة وذلك بأن أحضر عدداً من الفئران ووضع على جلدها محلول دخان السيجارة فظهر بعد خمسة عشر يوماً ورم سرطان وكذلك

سرطان الرئة يندر بين غير المدخنين، وقد مات بهذا المرض في عام ١٩٦٣م في بريطانيا ٢٥ ألف شخص، وفي أميركا٤١ ألف شخص.

٨ ـ كثرة السعال عند المدخنين والتدخين يسبب كذلك توقف في نمو الجسم.

٩ ـ التدخين مفتر للأعصاب والمخ لأنه يحدث أنتعاشاً وقتياً فيها فيظن المدخن أنه يشعر بالراحة عند التدخين.

١٠ ـ المدخن لا يستطيع القيام بأي نشاط رياضي وإن قام به فهو مهزوز.

وله أضرار نفسيه منها:

١ ـ هبوط مستوى الذكاء.

٢ ـ حب التسلط عند المدخن.

٣ ـ المزاج العصبي والقلق والشرور.

٤ ـ ملامح شخصية المدخن غير متميزة بل متذبذ به.

وللتدخين أضرار اجتماعية واقتصادية منها:

١ ـ وجد أن ما يصرفه ٦٠ مليون مدخن في أمريكا يساوي ٤ مليارات دولار في العام الواحد.

٢ ـ كثير من الحرائق الخطيرة التي أتلفت مصانع كبيرة ومحلات تجاريه باهظة الثمن كان سببها الدخان.

٣ ـ رائحته تؤذي الذين لا يستعملونه ولو دخلت عمارة فيها مدخن واحد لأحسست بالرائحة الكريهة تجلل العمارة كلها ولقد

سكنت في إحدى المدن في عمارة فيها شخص واحد يستعمل الشيشة وكادت الرائحة تخرجنا من العمارة لولا بعض التصرفات التي أفادتنا في هذا المجال. . . .

وقد لخص بعض أهل العلم[١٠] أضرار التدخين فقال:

١ - أن التدخين يفسد القلب ويضعف القوى.

٢ - يغير اللون بالصفره وخصوصاً الأسنان.

٣ - يجلب البلغم والسعال والأمراض الصدرية.

٤ - يورث السل الرئوي ومرض القلب والموت بالسكتة القلبية.

٥ - يسبب فساد الذوق وعسر الهضم وقلة الشهية للطعام.

٦ - يفسد كريات الدم ويؤثر على القلب بتشويش انتظام ضرباته.

٧ - أنه معدود من الخبائث عند ذوي الطبائع السليمة حتى من مستعمليه.

٨ - ان انفاق المال فيه إسراف وتبذير في معصية الله.

٩ - أنه مفتر باسترخاء الأطراف وصيرورتها إلى وهن وإنكسار.

١٠ - كون رائحته الكريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه وتؤذي الملائكة الكرام لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وتلمس ذلك واضحاً إذا دخلت أحد المكاتب المغلقة التي يدخن أصحابها.

١١ - أنه يشوي الوجوه ويسود الشفاه، ويوسخ الأسنان ونستطيع معرفة المدخن من غيره ولو لم يدخن أمامك.

---

(١٠)من أضرار المسكرات والمخدرات للشيخ عبد الله الجار الله ص ٢٢ / ٢٣.

١٢ ـ أنه من أكبر دسائس الشيطان التي يستدرج بها الإنسان إلى ما هو أعظم منه فأنه وسيلة وبريد للمسكرات والمخدرات أمهات الخبائث من الحشيشة والخمر والأفيون وسائر المخدرات المنتشرة في مختلف ديار المسلمين.

الفصل الرابع

المبحث الأول

حكم الدخان

لم يكن الدخان معروفاً في زمن التشريع الإسلامي فيذكره ويذكر حكمه وليس معقولاً أن يسمى شيء قبل ولادته ووجوده، فكيف يخص التدخين بحكم شرعي وهو لم يزل غيباً ويخطىء خطأً فاحشاً أولئك الذين يطالبون بدليل صريح على تحريم الدخان، إذ كيف يوجد الدليل والموجب غير موجود لكن حينما يظهر الشيء ويوجد وتظهر آثاره يحكم عليه بالحل والحرمة بحسب هذه الآثار من النفع والضر. ولهذا نستطيع أن نحكم على الدخان مثلاً بعدما فشا وانتشر، وظهرت آثاره في المجتمع فنقول:

«إن في القرآن والسنة كليات يدخل تحتها كل جزئي من جنسها وقواعد يبنى عليها كل مشابه لها في الحكم أو مشارك لها في الوصف، ويثبت هذه الحقيقة ويقررها مثل قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[1].

---

(١) النحل آية ٨٩.

وقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢].

ومن تلك الكليات العامة في الكتاب العزيز تحريم الله تعالى للإثم وأمره بتركه في قوله تعالى: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[٤].

فهذه الآيات صريحة الدلالة في تحريم كل إثم وفاحشة من القول والعمل، وإذا أردت حكماً شرعياً لأمر - ما - فانظر هل هو نافع أم ضار، أم هو دائر بينهما والدخان الذي نتحدث عنه لا أظن عاقلاً يشك أنه ضار وأنه من قبيل الآثام لا من قبيل المحاور ومن الخبائث لها من الطيبات وقد استدل بعض أهل العلم على حرمة الدخان بالكتاب والسنة والقياس وأصول الشريعة وقواعدها.

فمن الكتاب:

[١] قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[٥].

[٢] وقوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾[٦].

---

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٠.

(٤) سورة الأعراف آية ٣٣.

(٥) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٦) سورة النساء آية ٢٩.

الآيتان صريحتان في النهي عن كل مضر ومؤذ يودي بصاحبه إلى الموت والدخان يشهد عقلاء الأطباء وأصحاب التجارب أنه طريق بطيء للانتحار وسنشير إلى ما يؤيد ذلك في أثناء البحث إن شاء الله.

[٣] قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث....﴾[٧].

ونحن نتساءل هنا هل الدخان طيب أو خبيث؟ هل هو ضار أم نافع؟ هل هو نعمة أم نقمة؟ هل يدفع للصحة أم للمرض؟ أليس بعض الذين يشربونه ممن ابتلوا به يختفي حال شربه ويحرص ألا يعلم عنه أحد.

لقد عايشت بنفسي شخصياً تقياً ابتلى بهذا الوباء ويعلم الله أنني على كثرة ما جلست معه لم أشم معه رائحة حتى أنني لا أعلم متى تركه، بل إن معظم زملائه الذين يعملون معه في نفس المهنة لا يعرفون عنه أنه يدخن وهذا كاف وحده في الحكم على الدخان أنه من الخبائث والرذائل.

[٤] قال تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[٨].

---

(٧) سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٨) سورة النساء آية ٥.

السفيه هو الذي لا يحسن التصرف بما معه من المال، والعاقل يجزم أن المدخنين هم أكثر الناس سفهاً لأنهم فضلاً عن كونهم لم يحسنوا التصرف بأموالهم عمدوا إلى ما يضرهم ويؤذيهم ومثل هؤلاء أخلق الناس بأن يوصفوا بالسفه بكل معانيه.

[٥] قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(٩).

وقال تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾(١٠).

والإسراف والتبذير هو إنفاق المال في غير وجه حق ولا شك أن شراء الدخان إنفاق للمال بغير وجه لأنه ثبت ضرره على العقل والجسم ومن يشتري ما يضره ويؤذيه مبذر ومسرف.

ومن السنة:

[١] ما روته أم سلمة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»(١١).

وصريح النهي للتحريم وكون الدخان مفتراً ثابت، وقد جرب ذلك الناس وعرفوه.

[٢] ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم

---

(٩) سورة الأعراف آية ٣١.

(١٠) سورة الإسراء آية ٢٦.

(١١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ٢٧٣.

وأبو داود في السنن جـ ٤ ص ٩٠.

مدار هذه الرواية علي شهر بن حوشب وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وتكلم فيه غير واحد والترمذي يصحح حديثه.

انظر مختصر سنن أبي داود جـ ٥ ص ٣٦٩.

عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[١٢].

وهل هناك إضاعة للمال أشد من إضاعته في شرب هذا الداء الخبيث الذي يضر بالعقل والبدن.

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ من تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[١٣].

الحديث صريح في حرمة تناول أي نوع من السموم بقصد ضرر النفس وقد ثبت لنا مما سبق أن تناول الدخان إلقاء بالنفس إلى التهلكة، ثم إن الدخان يحتوي على سموم كثيرة أكثرها وأوضحها سم النيكوتين والقطران، فالمدخن يتناول السم عامداً متعمداً إلا أنه يقتل نفسه قتلاً بطيئاً وغيره ممن يتناول سائر السموم يقتل نفسه قتلاً عاجلاً ولا فرق في النتيجة بين الأمرين.

[٤] قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار[١٤]»نهى ﷺ عن ضرر الإنسان

---

(١٢) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٥٧. وصحيح مسلم جـ ٥ ص ١٠.

(١٣) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري جـ ٧ ص ١٨١، وصحيح مسلم مجـ ١ ص ٧٢.

(١٤) رواه الإمام أمد في المسند جـ ١ ص ٣١٣.

وابن ماجه. السنن جـ ٢ ص ٧٨٤، والبيهقي. السنن جـ ٦ ص ٦٩. والطبراني في الكبير جـ ١١ ص ٣٠٢، وقد صححه أهل العلم. أنظر مجمع الزوائد جـ ٤ ص ١١٠، والسلسلة الصحيحة للألباني جـ ١ ص ٩٩.

نفسه وغيره. والمدخن ضار نفسه ضرراً عقلياً وضرراً جسمياً، وهذا ثابت بشهادة من جربوا هذا الوباء وبشهادة الأطباء الذين عايشوا المرضى وتابعوا حالاتهم.

[٥] عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل به»(١٥).

والمدخن ماذا سيجيب أيكون جوابه أنه أمضى عمره وشبابه وأفنى ماله بالدخان، وهل هذا الجواب إلا وبال عليه يوم تشهد الأعضاء ويتكلم من الأنسان كل شيء.

[٦] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»(١٦).

والدخان أقل أحواله أن يقال أنه من المشتبهات التي ينبغي

---

(١٥) رواه الترمذي - سنن الترمذي جـ ٤ ص ٦١٢. وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في صحيحه برقم ٩٤٦ جـ ١ ص ٦٦٦.

(١٦) رواه البخاري ومسلم - صحيح البخاري جـ ١ ص ٢١، وصحيح مسلم جـ ٥ ص ٥٠.

اجتنابها والبعد عنها فهل يعقل الغافلون وينتبه اللاهون ويستفيق السائرون في طريق الهلاك.

[٧] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا»(١٧).

[٨] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس»(١٨).

أرأيت أخي المسلم أذية أشد من أذية الدخان، برائحته الكريهة وما يسببه من الأمراض.

إن الشخص الذي لا يدخن إذا دخل مكتباً من المكاتب المغلقة التي جللها الدخان يكاد يختنق، ويعلم الله ما يتسبب له من الأمراض، فإذا كان المسلم مأموراً باعتزال المسجد إذا تناول المباحات فكيف به إذا تناول المحرمات التي هي أنفذ رائحة من الثوم والبصل.

ومن القياس:

الدخان يشترك مع سائر المسكرات والمخدرات بجامع الضرر في كل شيء إنه ثبت أن الدخان يسكر في بعض الأحيان وخصوصاً عندما يستعمله المدخن بعد طول غياب، والدخان خبيث قبيح يشترك مع سائر الخبائث في الحرمة «ويحرم عليهم الخبائث».

---

(١٧) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري جـ١ ص ٢٠٥، وصحيح مسلم جـ٢ ص ٨٠.

(١٨) رواه مسلم - صحيح مسلم جـ٢ ص ٨٠.

أصول الشريعة وقواعدها:

أوجب الله جل وعلا العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله يرجون رحمته ومغفرته، ويخافون عقابه وعذابه، وأباح لهم المعاملات والمكاسب التي لا ضرر فيها ولا إثم، وأمر بالأكل من الطيبات لمالها من الأثر الوضاح على البدن في نشاطه وسلوكه وسيره إلى الله وحرم كل خبيث حسي أو معنوي، لما يترتب على أكله وتناوله من آثار تضر الفرد والمجتمع ولذا فأصول هذا الدين وقواعده تحكم على الدخان بالخبث وتلحقه بالخبائث لما فيه من الضرر الواضح الذي لا يختلف فيه اثنان، والشريعة الإسلامية مليئة بالقواعد العامة التي يمكن أن يحكم على الدخان من خلالها.

ومن أهم هذه القواعد قاعدة لا ضرر ولا ضرار وقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وكذلك مبدأ سد الذرائع فلو لم يكن في تحريم الدخان إلا سد ذريعة المسكرات لكفى ذلك مبرراً للحكم عليه.

* * * *

المبحث الثاني

شبه مستحليه

يتعلل بعض الناس الذين يشربون الدخان بعلل واهية ويحاولون أن يوجدوا مبرراً لشربهم وهذا من سوء جهلهم وفساد طويتهم، إذ صنيعهم هذا يجعل الإثم مضاعفاً.

فالمسلم إذا ابتلي بمعصية ينبغي ألا يبرر لنفسه حلها بل يجزم بحرمتها ويسأل الله السلامة منها، ولعل من أبرز الشبه التي يتعلق بها بعض المدخنين ما يأتي:

[١] عدم النص الصريح بإسمه في التحريم. وجواب هذه الشهبة:

إن الأدلة العامة التي أشرنا اليها كافية في الحكم عليه وعدم النص عليه بإسمه لعدم وجوده في ذلك الوقت وهناك أمور كثيرة لم ينص عليها وإنما يحكم عليها بالنصوص العامة والقواعد الكلية وقد سبق إيضاح جزء من ذلك فليراجع.

[٢] يتعلق بعض الناس بالعمومات مثل قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾[١٩].

(١٩) سورة البقرة آية ٢٩.

فيقول أن الدخان داخل في هذه الآية فيكون مباحاً، وجواب ذلك ما يأتي:

المراد بالآية الاعتبار بما في الأرض والإنتفاع بما فيه نفع، والمعنى خلقه لأجلكم وتحقيقاً لمصالحكم وفي ذلك ما ليس بمأكول ولا مشروب، وفي التبغ مصالح ظاهرة حيث يستعمله بعض المزارعين لإبادة الحشرات التي تهلك النبات وتقضي عليه.

[٣] قول بعض الأصوليين الأصل في الأشياء الإباحة ولا يحرم إلا ما ورد دليل خاص به يحرمه. قال بعض الناس والدخان داخل في هذا العموم فلا يحرم إلا بدليل خاص يحرمه ولا دليل.

والجواب أن يقال: إن بعض أهل العلم عكس القاعدة فجعل الأصل في الأشياء المنع إلا بالدليل والصحيح التفصيل فكل شيء نافع ولا ضرر فيه ولا خبث فهو مباح إلا بدليل، وكل ضار أو ضرره أكبر من نفعه فهو حرام إلا للمضطر.

ثم إن الدليل قام على حرمة الدخان كما سبق في أدلة تحريمه، فهل تبقى بعد ذلك تلك القاعدة مجالاً لاعتراض معترض أو متعلقاً لشهبة يورثها الهوى والبعد عن الحق.

[٤] فتوى من أفتى بحل الدخان من العلماء والجواب أن يقال:

أن هناك الكثيرين من أهل العلم المنصفين أفتوا بالتحريم وقولهم أصوب ورأيهم أسد لأن الدليل معهم، ثم إن هناك من أفتى بحل الخمر وتبرج النساء بل وإباحة الربا وأكل المال

بالباطل فهل يؤخذ بمثل هذه الفتاوى الزائفة الضالة، أن المرجع والمحتكم في أي أمر اختلف الناس فيه وتنازعوا هو الميزان العدل، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لقوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾(٢٠).

وبالرجوع اليهما نجد الدلالة فيهما على التحريم واضحة صريحة، وقد ذكرنا طرفاً منها في أدلة تحريمه.

[٥] إنكار ما فيه من الإسكار والتخدير والضرر والجواب أن يقال:

أن هناك من نقل إسكاره وتخديره، وأما ضرره فلا أظن أن هناك عاقلاً ينكر ذلك.

وما دام ثبت عند البعض إسكاره وتخديره وضرره فالموازنة تقضي أن يقدم المثبت على النافي لأن معه زيادة علم، ثم أن نفي إسكاره وتخديره عن بعض الأفراد لا ينفي ذلك عن الجميع.

[٦] يحتج بعض الناس بما يحصل في الدخان من المنافع - في نظرهم - كالتنبيه وإذهاب الكسل والتعب وحصول نشاط بعده والجواب أن يقال:

إن هذه المنافع خيالية أو مبالغ فيها وإن حصلت فهي دليل ثابت على ضرر الدخان لأنه بتناوله خدر نفسه فأذهب الإحساس وظن معه ذهاب التعب، والواقع أنه يزيد نفسه تعباً إلى تعب.

---

(٢٠) سورة النساء آية ٥٩.

ثم ماذا تكون هذه المنافع المزعومة مقابل الأضرار الكثيرة الثابتة بالواقع والتجربة لكل من تعـاطي التدخين أو عـايش متعاطيه[21].

[٧] ومن الناس من يحاول إثبات عدم ضرر الدخان مناقضة للعلم المثبت بالتجربة ومنابذة للمشاهدات فيدعي أنه يدخن التبغ سنين ولم يحصل له طارىء يضره ويضرب لك الأمثال بغيره مكابرة وربما كان معتقداً ما يقوله.

والجواب على ذلك ما يأتي:

أنه شوهد من الناس من لا يظهر عليهم فعله بسرعة ولكن مقدار النيكوتين الذي يدخل إلى أجسادهم يتجمع فيها شيئاً فشيئاً ثم يثور مرة واحدة منتهزاً فرصة وقوع جسدهم في مرض أضعفه فيفتك به فتكاً ذريعاً حتى يتعجب الطبيب من سرعة المـرض وكثرة تضـاعفـه، فلمـا يعلم أن سبب ذلـك فعـل النيكوتين المدخر يذهب عنه العجب ويعتريه الأسف.

(٢١) أنظر التدخين للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين ص ٩٥

الفصل الخامس

فتاوى العلماء في تحريمه

أذكر في هذا المبحث طرفاً من كلام أهل العلم في الدخان علماً أن معظمهم من فقهاء المذاهب المختلفة الذين عايشوه في بدء ظهوره إلى يومنا هذا وعبارتهم تختلف فيه فمنهم من يحرمه ومنهم من يكرهه ومنهم من يبيحه وسأوضح ذلك فيما يأتي:

[١] قال أبو السعود الحنفي أنّ الدخان مما ظهر أخيراً وأن صاحب الدر الشيخ الحصكفي الحنفي حكىٰ عن شيخه الغزي الشافعي أنه حرام لأنه مفتر وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

[٢] وقد حرمه الشيخ حسن الشرذبغلاني الحنفي فقال فيه نظماً من بحر الطويل.

ويمنع من بيع الدخان وشربه
وشاربه في الصوم لا شك يفطر[١]

---

(١) تبصرة الأخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان ـ للعلامة محمد الطرابيشي ص ٢١.

[٣] ومنهم العلامة الباجوري حيث قال في كتاب البيوع من حاشيته على شرح الغاية عند قول المصنف ولا يصح بيع عين نجسه وما لا منفعة فيه قيل منه الدخان المعروف لأنه لا منفعة فيه بل يحرم استعماله لأن فيه ضرراً كبيراً. . .)[٢].

[٤] ومنهم المحقق البجيرمي قال في فصل الأطعمة من حاشيته على الإقناع في شرح متن أبي شجاع عند قول الشارح ويحرم ما يضر البدن أو العقل. ومنه تعلم حرمة الدخان المشهور أي لما صح فيه عن أهل الخبرة من أنه يضر بالبدن أضراراً. . .)[٣].

[٥] ومنهم الشهاب القليوبي قال في باب النجاسة من حاشيته على شرح الجلال المحلي لمنهاج الإمام النووي بعد بيان نجاسة كل مسكر مائع كالخمر ونحوه. إحترز بمائع عن البنج ونحوه من كل ما فيه تخدير وتغطية للعقل فهو طاهر وأن حرم تناوله لذلك أي للتخدير المذكور.

قال بعض مشايخنا ومنه أي من نحو البنج الدخان المشهور وهو كذلك لأنه يمنع مجاري البدن ويهيئها لقبول الأمراض المضرة ولذلك ينشأ عنه الترهل والتنافيس ونحوهما.

ـ فالترهل ـ إسترخاء العضلات والأعصاب.

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٤.
(٣) المرجع السابق ص ٢٥.

ـ والتنافيس ـ إتساع مسام الأغشية وقد أخبر من يـوثق به أنـه يحصل منه دوران الرأس أيضاً. . .)[٤]

[٦] ومنهم العلامة الجمل قال في حاشيته على شرح المنهج عن شيخه العلامة اللاقاني:

«. . . ومن البنج الأفيون وجوزة الطيب وكثير العنبر والزعفران ونحو ذلك من كل ما فيه تخدير وتغطية قال شيخنا اللاقاني: ومنه شرب الدخان المعروف الآن. قال شيخنا ـ الأجهوري ـ وهو كذلك ولي به أسوة . . . .)[٥].

[٧] قال في تهذيب الفروق (. . . أول ما ظهرت العشبة المعروفة بالتنباك والتتن والدخان ودخان طابة في أوائل القرن الحادي عشر كما في ابن حمدون إلى أن قال. . . أن استعمال القدر المؤثر في العقل منه حرام إتفاقاً كما في شرح الإرشاد وغيره. وأما القدر غير المؤثر فأطبق المغاربة وأكثر المشارقة كالشيخ سالم السنهوري وتلميذه الشيخ اللاقاني وغيرهما على تحريمه. إلى أن قال: . . . وألف مجموعة في تحريمه تآليف. . .)[٦].

وقـد أطال النفس رحمـه الله في هذا المـوضـوع، فمن شـاء الإستزادة فليراجعه.

---

(٤) المرجع السابق ص ٢٥.

(٥) المرجع السابق ص ٢٥.

(٦) تهذيب الفروق بهامش الفروق ج١ ص ٢١٦/٢٢٠.
وأنظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج١ ص ٤٦.

[٨] ومنهم الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله قال في جوابه على سؤال عن التنباك:

(. . . . . وبما ذكر من كلام رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم يتبين لك تحريم التتن الذي كثر في هذا الزمان استعماله وصح بالتواتر عندنا والمشاهدة إسكاره في بعض الأوقات خصوصاً إذا أكثر منه أو أقام يوماً أو يومين لا يشربه ثم شربه فإنه يسكر ويزيل العقل حتى أن صاحبه يحدث عند الناس ولا يشعر بذلك نعوذ بالله من الخزي وسوء البأس. فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلتفت إلى قول أحد من الناس إذا تبين له كلاماً وكلام رسوله في مثله من المسائل وذلك لأن الشهادة بأنه رسول الله تقضي طاعته فيما أمر والإنتهاء عما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر. . .)(٧).

[٩] ومنهم الشيخ أحمد المنقور قال في الفواكه العديدة: (. . . والحاصل أن القول بتحريم الدخان ثبت عن كثير من السلف والمتعمدين في الحجاز واليمن ومصر والشام وديار الروم وألفوا في ذلك رسائل. . .)(٨)

وقد نقل ذلك عن مجموعة كبيرة من العلماء الأعلام الذين عرفوه وعايشوا مستعمليه.

[١٠] ومنهم الشيخ الإمام محمد رشيد رضا يقول في فتاويه: (. . . ما علمت أحداً من فقهاء المسلمين قال أن شرب

---

(٧) ج٦ ص ٤٥٢ من الدرر السنية.

(٨) الفواكه العديدة ج٢ ص ٧٩.

هذا الدخان غير مفطر للصائم ولذلك استغربت هذا السؤال ولا شك في أن مادة هذا الدخان تدخل في الجوف وأنها تؤثر في شاربه تأثيراً ينافي الصيام وحكمته ولذلك اتفق جميع الناس على تسمية التدخين شرباً فشرب الدخان مبطل للصيام قطعاً . . .)[9].

وقال في موضع آخر: (. . . وقد إختلفت فيه أقوال فقهاء المذاهب فكان أكثرهم يحرمه . . . . ومنهم من يبيحه . . . . ومنهم من يكرهه . . . وقد أفتى شيخ الأزهر أبو الفضل الجيزاوي ومفتي الذيار المصرية بأن ثالث أقوال العلماء فيه وهو الكراهة هو الوسط الراجح . . . .)[10].

[11] ومنهم الشيخ عبدالله أبا بطين قال في جواب له عن التنباك:

(. . . . الذي نرى فيه التحريم لعلتين:

أحدهما:

حصول الإسكار فيما إذا فقده شاربه مدة ثم شربه أو أكثر منه وإن لم يحصل إسكار حصل تخدير وتفتير.

والعلة الثانية:

أنه منتن مستخبث عند من لم يعتده واحتج العلماء بقوله تعالى ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾[11].

---

(9) فتاوي رشيد رضا ج ٦ ص ٢٣٠٠.

(10) فتاوي رشيد رضا ج ٦ ص ٢٤٠٣.

(11) سورة الأعراف آية (١٥٧).

وأما من ألفه واعتاده فلا يرى خبثه كالجعل لا يستخبث العذرة. . .)[١٢]

[١٢] ومنهم مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قال في رسالته عن الدخان:

(. . . . وبعد فقد سئلت عن حكم التنباك الذي أولع بشربه كثير من الجهال والسفهاء مما يعلم كل أحد تحريمنا إياه نحن ومشايخنا ومشايخ مشايخنا وكافة المحققين من أئمة الدعوة النجدية وسائر المحققين سواهم من العلماء في عامة الأمصار من لدن وجوده بعد الألف بعشرة أعوام أو نحوها حتى يومنا هذا إستناداً على الأصول الشرعية والقواعد المرعية. . . .)

إلى أن قال: (. . . لا ريب في خبث الدخان ونتنه وإسكاره أحياناً وتفتيره وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح وكلام الأطباء المعتبرين. . . .)[١٣].

[١٣] ومنهم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله قال في رسالته عن الدخان: (. . . أما الدخان شربه والإتجار به والإعانة على ذلك فهو حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شرباً واستعمالاً واتجاراً وعلى من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله

(١٢) أنظر فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص ٧.

(١٣) فتوى في حكم شرب الدخان ص ١/ ٢.

توبة نصوحاً كما يجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب وذلك أنه داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم داخل في لفظها العام وفي معناها وذلك لمضاره الدينية والبدنية والمالية التي يكفي بعضها في الحكم بتحريمه فكيف إذا اجتمعت. . . .)[١٤].

[١٤] ومنهم الشيخ محمد العيني من فقهاء الحنفية ذكر في رسالته تحريم التدخين من أربعة وجوه:

أحدها:

كونه مضراً بالصحة باخبار الأطباء المعتبرين وكل ما كان كذلك يحرم إستعماله إتفاقاً.

ثانياً:

كونه من المخدرات المتفق عليها عندهم المنهي عن استعمالها شرعاً.

ثالثاً:

كون رائحته الكريهة تؤذي الناس والملائكة وخصوصاً في أماكن الإجتماعات كالمساجد وغيرها.

رابعاً:

كونه إسرافاً إذ لا نفع فيه بل ضرره محقق. . . .)[١٥]

وقد استطرد بذكر الأدلة من الكتاب والسنة على حرمته.

---

(١٤) حكم شرب الدخان ص ١٦.

(١٥) فتوى حكم شرب الدخان ص ٤/٥.

[١٥] ومنهم فضيلة الشيخ حمود التويجري يقول في كتابه الدلائل الواضحات: (. . . وقد عظمت الفتنة بشرب الدخان وبيعه وإبتياعه وصارت الفتنة بـه أعظم من الفتنـة بجميع أنـواع المسكرات والخبائث. . .

وقد تهاون في فتنة الدخان وانهمك في شربه كثير من المنتسبين إلى العلم في زماننا فضلاً عن العامة فالله المستعان.

وكثير من الناس يستحلونه أما جهلاً منهم بحكمه وأمـا إتباعـاً لإهوائهم وما تشتهيه أنفسهم وكثير من الناس يعتقدون تحريمه وهم مع ذلك يستحلون بيعه وابتياعه وأكل ثمنـه وهؤلاء فيهم شبه من اليهود. . .)[١٦].

[١٦] ومنهم الشيـخ الطرابيشي قـال في كتابـه تبصـرة الإخـوان (. . . . فقـد تحصل من مجمـوع هذه النصـوص الفقهية والطبيـه الحكم على الـدخـان المشهـور بـأنـه من جملة المخدرات التي يحرم إستعمالها وأنه مضر بالصحة إضراراً بينا وكل ما كان كذلك فهو حرام بالإتفاق وشبهة من خالف في إثبات الحرمة باستعماله عدم التحقق لتأثيراته المذكورة من التخدير والإضرار المذكورين حسبما ذكره أهل الخبرة فيه. . .)[١٧]

---

(١٦) الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات والمفترات للشيخ حمود التويجري ص ١٧٦.

(١٧) تبصرة الأخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان ص ٢٦.

[١٧] ومنهم الشيخ صالح الفوزان قال في كتابه الأعلام: (... ثبت ضرر الدخان على متعاطيه بالتجربة وبشهادة المختصين من الأطباء وإقرار كثير ممن يتعاطونه بعظيم ضرره فمنهم من تخلص من وطأته وتركه ومنهم من بقي تحت وطأته على مضض وما كان كذلك فلا شك في تحريمه على الجميع لا في حق من قرر له طبيب مختص....)[١٨].

[١٨] ومنهم الشيخ عبدالله بن جبرين قال في رسالته التدخين: (..... وبهذه النظرة العامة يتضح لك أن استعمال الدخان شرباً أو مضغاً أو نشوقاً أو نحوه محرم وممنوع فلا يباح بحال من الأحوال ولكن لا بد من التفصيل بعد الإجمال...)[١٩].

ثم استطرد حفظه الله في بيان آثاره على العبادات وعلى الفرد والمجتمع وساق الأدلة الكثيرة التي تقضي بحرمته.

[١٩] وقد صدرت عدة فتاوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية وهذه إحداها:

(فتوى رقم ٢١٣٩ وتاريخ ١٦/١٠/١٣٩٨ هـ:

س: هل يجوز التدخين وشرب التبغ أو لا؟

ج: التدخين وشرب التبغ على أي كيفية حرام لأن ذلك من

---

(١٨) الأعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص١٣.

(١٩) التدخين مادته وحكمه في الإسلام ص ١٥.

الخبائث وقد قال تعالى في صفة نبينا محمد ﷺ: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ ولأنه مضر بالقلب والرئتين وبصحة الإنسان عموماً ومنشأ لأنواع من الأمراض الخبيثة كالسرطان وقرر الأطباء خطره على الصحة وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير مما يضر بالانسان عموماً. .)(٢٠).

[٢٠] وجاء في توصيات المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات الذي عقد في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في الفترة من ٢٧/ ٣٠/٥/٢/١٤٠٢هـ.

ما نصه(. . . . تأييد الفتاوى الصادرة من العديد من كبار فقهاء المسلمين بتحريم التدخين بجميع صوره وأشكاله نظراً لضرره على الصحة والمال ودعوة الحكومات الإسلامية إلى منع زراعته وتصنيعه واستيراده، وتداوله وحتى يتم تنفيذ هذه التوصية يجب:

أ ـ منع الدعاية للدخان في كافة وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ب ـ حظر التدخين في أماكن العمل ودور التعليم والمواصلات في الأماكن التي يرتادها الجمهور بصورة عامة.

---

(٢٠) وأنظر الفتوي رقم ١٤٠٧ وتاريخ ١٣٩٦/١١/٩ هـ.
والفتوي رقم١٩١٤ وتاريخ ١٣٩٨/٥/٨ هـ.
والفتوى ٢١١١ وتاريخ ١٣٩٦/١٠/٧ هـ.
والفتوي رقم ٤٩٤٧ وتاريخ ١٤٠٢/٩/١٦ هـ.

ج - يراعي في اختيار المعلمين والموجهين والدعاة في المجتمع المسلم أن يكونوا ممن يتنزهون عن هذه العادة القبيحة.

[٢١] قال في مطالب أولى النهي (.... وأما أنا فلا أشك في كراهته لما فيه من النقص في المال ولكراهة رائحة فم شاربه كأكل البصل النيء، والثوم والكراث ونحوها ولإخلاله بالمروءة بالنسبة لأهل الفضائل والكمالات وكان أحد لا يعدل بالسلامة شيئاً...)(٢١).

[٢٢] وممن قطع بتحريم(٢٢) الدخان من علمائنا المعاصرين فضيلة الشيخ عبدالله سليمان بن منيع عضو هيئة كبار العلماء حيث يقول (.... ولكن لو استعرضنا حال الدخان لوجدناه مفسدة محضة ومضرة بالغة خالصة، ولما وجدنا فيه من المصالح والمنافع شيئاً مطلقاً بل هو شر لا خير فيه وضرر بالغ لا مصلحة فيه يعترف بذلك عقلاء العالم وذوو الاختصاصات العلمية فيهم ومن هذا التصور لهذا الواقع الدنيء للدخان نستطيع أن نجزم بحرمة الدخان بلا تحفظ فهو خبيث وقد حرم الله على عباده الخبائث وهو إضاعة للمال وقد نهى ﷺ عن إضاعة المال وهو القاء بالنفس

(٢١) مطالب أولى النهي للرحيباني ج ٦ ص ٢١٩.

(٢٢) قدمت لفضيلته سؤالاً في ١٤١١/١/٣٠ هـ وأجابني خطياً بجواب طويل مبني على الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية رأيت أن أجتزىء منه ما يناسب هنا.

والأيـدي إلى التهلكة حينمـا وصفه الخبيـرون بحالـه بأن الإدمان عليه إنتحار بطيء وقد قال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾

وهو أذيّة بالغة للمجتمع وقد نهى ﷺ من أكل الثوم أو البصل عن حضور المساجد، وفيهما من النفع ما فيهما، ومع ذلك غلب جانب المجتمع في رعاية مشاعره وأحاسيسه فكيف بشارب الدخان وقد ملأ جسمه بأسوأ رائحة ولا شك أن الشيشة من الدخان إن لم تكن أكثر منه فحشاً وسوءاً وضرراً وإضراراً والله أعلم).

وقد أورد مجموعة من الباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع نقولا وفتاوى لمجموعة كبيرة من العلماء وذكروا فيه مؤلفات كثيرة ومن شاء الإستزادة حول هذا الموضوع فليرجع إلى:

١ ـ الدخينة في نظر طبيب ص ١١٢ وما بعدها[٢٣].

٢ ـ الخمر وسائر المسكرات والمخدرات والتدخين ص ١٥٢ وما بعدها[٢٤].

٣ ـ سماحة الشيخ محمد بن إبـراهيم آل الشيخ مفتي الـديار السعودية في رسالته عن الدخان ص ٣ وما بعدها[٢٥].

---

(٢٣) للدكتور دانيال هكرسي، ترجمة الزهرة.

(٢٤) لأحمد بن حجر آل بوطامي.

(٢٥) نقـل عن مجموعـة من أعلام المـذاهب الأربعة وعن بعض الأطبـاء المعتبرين.

الفصـل الـسادس

المبحـث الأول

بعض القصائد فيه.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي راداً على من أباح الدخان:

وقلت بعـد مـديـح القـات منصـرفـاً
أمـا الـدخـان فمن جنس المبـاحـات

أبـحـت داء وتـبـذيـراً ومعـصـيـة
وسـفلة وانـغمـاسـاً في الـدنـاءات

يشـوي الـوجـوه وتسـودُّ الشفـاه بـه
وفي المسـاجـد مؤذٍ لـلجمـاعـات

مـع مـا ذكـرنـا من التحـذيـر فيـه ومن
تـفـتـيـر ومـحـق لـلطبـيـعـات

وقال العدساني أحد الشعراء المشهورين بالكويت ناصحاً لأبن ابنه عن شرب الدخان:

يـا شـارب التنبـاك مـا أحـراكـا
مـن ذا الـذي في شـربـه أفتـاكـا

أتـظن شـرابـه مسـتـعـذب
أم هـل تـظن أن فـيـه غـذاكـا

هل فيه نفع ظاهر لك يا فتى
كلا فما فيه سوى أذاكا

ومضرة تبدو وقبح روائح
مكروهة تؤذي به جلساكا

وفتور جسم وارتخاء مفاصل
مع ضيق أنفاس وضعف قواكا

أو حرق مال لم نجد عوضاً له
إلا دخانا قد حشا أحشاكا

آثرته وتركت جهلاً غيره
تباً لمن قد آثر التنباكا

ورضيت فيه بأن تكون مبذرا
وأخو البذر لم يكن يحفاكا

يكفيك ذماً فيه أن جميع من قد
كان يشربه يود فكاكا[1]

وقال الشيخ حمد عبد الرحمن حمد الله في آثار الدخان ورذائله:

كم في الدخان معائب ومكاره
دلت رذائله على إنكاره

(١) انظر التدخين مادته وحكمه في الأسلام لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ص ٦١.

سأريك بعضاً من معايب شره
فاسمع كلامي تسلمن من عاره
يؤذي الكرام الكاتبين بريحه
وأمام وجهك شعلة من ناره
طعم خبيث ثم ريح منتن
عند الفتى أعز من ديناره

إلى أن قال:

إن غاب عنك سويعه لم تستطع
وتود بذل الروح في إحضاره
ويصاحب عقلك بالجنون وبالخبال
لفقده وتفيق باستشعاره
كم من نقود يا فتى وملابس
أتلفتها بشرائه وشرابه

إلى أن قال:

وترى الذي في شربه متولهاً
يلتذ في المرحاض باستكثاره
إنْ خالط المأكول منه دريهم
غليت خباثته على قنطاره

إلى آخر القصيدة[٢].

وقال الشيخ محمد البيروتي رحمه الله:

---

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

إيـاك مـن بـدع تلقيـك في مـحـن
لا سيمـا مـا فشـا في النـاس من تتن

تبـاً لشـاربـه كيف المقـام على
مـا ريحـه يشبـه السـرجين في العـطن

يـفـتـر الـجـسـم لا نـفـع بـه أبـداً
بـل يـورث الضـر والأسقـام في البـدن

ولا يغـرك من في النـاس يشـربـه
النـاس في غفلة عـن واضـح السـنن

يقضي على المـرء في أيـام محنتـه
حتى يـرى حسنـا مـا ليس بـالحسن(٣)

وقال الشاعر معروف الرصافي :

عـوائـد عمت الـدنيـا مصـائبهـا
وإنـمـا أنـا في تـلك الـمـصـيبـات

. . . .

ولا استمـر دخـان التبـغ منتشـراً
بين الـورى وهـو مـطلوب كـأقـوات

إن الـدخـان لشـان في البـلاد إذا
مـا عـدت الخمـر أولى في البليـات

ورب بيضـاء قيـد الأصبـع احتـرقت
في الكف وهي أحتراق في الحشاشات

---

(٣) المرجع السابق ص ٦٢ .

إنْ مــر بين شفــاه القــوم أســودهــا

ألقى اصـفــراراً على بـيض الثـنيــات

ولـيتـهــا كــان هــذا خط شـناربـهــا

بــل قــد تفت بفكيــه المــرارات[٤]

. . . . إلى آخر القصيدة.

وقال الشيخ محمد المجذوب:

يــا من يـريــد دمار صحتــه ويهـوى

الـمــوت مـنـتـحــراً بــلا ســكـيــن

لا تـيــأســن فــإن مــثـلك واجــد

كــل الــذي يــرجــوه في التــدخين

وبفضـل جهلك قـد غــدوت لصـانعي

تـلك السـمـوم الســود خيــر معين

تــحـبــوهــم الــمــال الــذي لـــولاه

لم يجدوا السبيـل لكيـد هـذا الــدين

وتخـــون حق الله في الجســد الــذي

لا يــســتـبـيــح أذاه غــيــر خئــون

فــاهنــأ بمــا حققـت لــلأعــداء من

نـصــرٌ لـلشيــطان من تـمكــيـن[٥]

---

(٤) ديوان معروف الرصافي ج١ ص ١١٠.

(٥) من أضرار المسكرات والمخدرات ص ٧٩.

وقال الشيخ عبد الله بن إبراهيم الوائلي المدني:

يـا مـولعـاً بـدخـان النـار يشـربـه
ويـدعي الحـل بين فيـه بـرهـانـا
أورد عـليـه دلـيـلاً كـي تـحـلله
لا سـفسـطات وتـغليـظاً وبـهتـانـا
النـار محـرقـة جسم الـكفـور غـداً
وأنـت تشـربهـا ظلمـاً وطـغيـانـا
أخـطأت أخـطأت لا أخـطأت واحـدة
فيمـا أدعيت وقـد طـاوعت شيـطانـا
فكيف طـاب لـك الـدخـان تشـربـه
هـل كـان إلا ضـلالاً ثـم عـدوانـا

. . . . إلى آخر القصيدة[٦].

---

(٦) الدلائل الواضحات ص ١٦٣.

المبحث الثاني

بعض القصص الواقعية للمدخنين

نترك في البداية الأستاذ سيف الدين حسين شاهين يحدثنا عن تجربته مع التدخين فيقول:

عندما كنت في السنة الرابعة بكلية الحقوق ـ جامعة الاسكندرية ـ اقترب مني أحد زملائي في الدراسة وسألني إلى متى تسهر دارساً؟ ولا سيما أننا في فترة الامتحانات فأجبته أنني أستسلم لسلطان النوم في الحادية عشرة. . . .

نظر إليّ مبتسماً مزهواً وقال أني أسهر حتى الثالثة أو الرابعة صباحاً ولما نظرت إليه متسائلاً عن سر هذه القدرة قال ما دامت السيجارة في يدي فأنا قادر على السهر.

ودون تفكير في العواقب ذهبت واشتريت عشر علب من السجائر دفعة واحدة لأني أريد أن أسهر وأن أذاكر لأحصل على تقدير مرتفع وبخاصة لأني في السنة النهائية.

بدأت أدخن بجنون حتى أنني في بعض الليالي كنت أدخن ما يبلغ الأربعين سيجارة وما قد يصل إلى الستين، وقد استمريت على

ذلك قرابة عشرة أيام كنت خلالها أشعر أنني لا أستوعب المادة جيداً كما كنت قبل التدخين لذلك أخذت في تلخيص المادة ليلاً لأراجعها في الصباح قبل الامتحان.

وقبل نهاية الامتحان بيومين وبينما أنا جالس على المكتب أذاكر وأدخن، شعرت بهبوط شديد في جسمي وشلل في يدي اليمنى حتى أنني عدت لا أقوى على الحركة إلا بصعوبة فاستنجدت بالجيران وكانوا طلاباً مثلي فنقلوني إلى مستشفى خاص، ومن حسن حظي أن الطبيب المعالج كان أستاذاً في كلية الطب فشرحت له حالتي وسألني منذ متى تدخن؟ فقلت له: منذ قرابة عشرة أيام فقط فأمر بادخالي المستشفى ووضعني في غرفة العناية المركزة، وبعد أن قضيت ليلة كاملة في المستشفى ـ دون مذاكرة ـ استنفذت خلالها اسطوانتين كاملتين من الاوكسجين وثلاثة لترات من المحاليل الطبية وعدداً من الحقن شعرت أنني استعدت صحتي.

وعندما زارني الدكتور في الصباح قال لي أن سبب سوء حالتك هو الدخان لأن احتراق السيجارة يعطي أول أكسيد الكربون الذي يرتبط بالكريات الحمراء في الدم فيسبب نقص الاوكسجين الذي يصل عن طريق الدم إلى خلايا الجسم وينقل الغاز السام بدلاً منه.

ومن البديهي أن قلة وصول الاوكسجين إلى خلايا المخ لا يمكن أن يساعد على التركيز والاستيعاب، ولذلك فأنت مخطىء عندما اعتقدت أن الدخان يساعدك على السهر وعلى التركيز الذهني، وقد برهنت عملياً على خطأ هذه النظرية.

وأضاف أن التدخين يؤدي إلى اضطرابات [illegible]
الأعصاب والاضطرابات المعوية والتعب السريع والارهاق ومثل
هذه العوامل لا تساعد على التركيز والاستيعاب[1].

نسوق هذه القصة الواقعية كمايذكرهامن وقعت له ليكون أبناؤنا وشبابنا على علم بأضرار الدخان الكثيرة وليتأكد لهم عدم مصداقية تلك الدعايات المغرضة للترويج للدخان وبث سمومه في صفوف الناس عامة والناشئة خاصة.

وقد ذكر الأستاذ محمد فريد وجدي مجموعة من الحوادث التي سجلها التاريخ لأضرار التبغ نذكر منها واحدة فقط (. . . أن بعض أصدقاء الشاعر سانتولي اللاتيني المتوفى سنة ١٦٦٧ م ألقى في كأس من النبيذ تبغاً ـ تتناً ـ فلما شربه الشاعر واستقر في جوفه أحدث له آلاماً لا توصف ثم فارق الحياة، صريع هذا السم الزعاف . . . .)[2].

وذكر الدكتور المنصور قصة عجيبة تنبيء عن مضار الدخان وفساده للأخلاق والأعراض.

(. . . . وقد أخبرني من أثق به من الرجال الذين يتجرون من الشام قديماً ـ من العقيلات ـ أن فلانا نزل في طريقه إلى نجد في بعض المنازل للراحة فبينما هو كذلك فإذا بامرأة عربية من أشراف

---

(١) التدخين سيف الدين حسين شاهين ص ٩/ ١٠.
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج٢ ص٥٢٧.

بيوتات العرب تأتي إليه وهي في حالة ذهول وارتباك فطلبت منه أن يسعفها ـ بدخان ـ فأبى عليها ثم عرضت عليه جملاً ببعض السجائر فأبى إلا إذا مكنته من نفسها فأبت عليه ذلك وقالت معاذ الله، ودفعت له جملين فأبى فما زالت تزيده من الجمال دون عرضها مقابل الدخان وهو يأبى أن يسلم لها دخاناً إلا إذا بذلت له عرضها، فلما يئست من كل محاولة استسلمت له مقابل الدخان، فلما رأى ذلك منها تعجب وتألم في نفس الوقت مما رأى كيف أن امرأة عربية عفيفة شريفة دعاها الدخان إلى بذل عرضها أعز شيء عندها لما رأى ذلك كله عزفت نفسه عن الدخان وعرف أنه قاتل للأخلاق مضيع للأعراض فسلم لها جميع ما معه من الدخان وتاب إلى الله توبة صادقة[٣].

ويحكي الأستاذ مصطفى الحمامي عن نفسه مرة أنه قال: كنت أمشي يوماً مع أحد طلبة العلم، فعرج على بائع دخان اشترى منه سيجارتين أشعل إحداهما وأقسم عليّ يميناً غليظاً أن آخذها منه وأستعملها. قال: فتناولت السيجارة أجذب في دخانها وأنفخه من فمي دون أن يتجاوز الفم للداخل. رأى هو ذلك فقال: ابتلع ما تجذبه فإن قسمي على هذا. لم أمانع، وفعلت ما قال نفساً واحداً والله ما زدت عليه وإذ دارت الأرض حولي دورة تشبه دورة المغزل فبادرت إلى الجلوس على الأرض وظننت بنفسي أني انتهيت،

---

(٣) الدخان في نظر الأسلام ص٢٨.

وظننت بصاحبي الظنون. وبكل تعب وصلت بيتي وأنا راكب وهو معي يحافظ عليّ وبعد ذلك مكثت إلى آخر اليوم التالي تقريباً حتى أحسست بخفة ما كنت أجده فحكيت هذا لكثير من الناس أستكشف ما كان يخبىء لي في السيجارة فأخبروني أن الدخان يعمل هذا العمل في كل من لم يعتده. فقلت إذا كان نفس واحد فعل بي كل هذا فماذا تفعله الأنفاس التي لا تعد كل يوم يجذبها معتاد الدخان خصوصاً المكثر منه[٤].

(٤) فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٤، ١٥.

الفصل السابع

كيفية الإقلاع عنه

ذكرت فيه طريقة عملية يستطيع من خلالها من ابتلى بالتدخين أن يقلع عنه بكل يسر وسهولة متى استصحب النية الصالحة والعزيمة الصادقة، وأحاط ذلك بصدق الالتجاء إلى الله والضراعة أن يعينه على التخلص من شباك هذا الوباء.

كيفية الإقلاع عنه:

الوقاية دائماً خير من العلاج وكل عاقل يعمل ما استطاع على توقي الأمراض أيا كانت قبل وقوعها، ومن هذه الأمراض بل من أشدها فتكاً بالجسد الدخان فتنبغي الوقاية منه قبل الدخول في شركه.

ومن أهم طرق الوقاية منه ما يأتي:

١ ـ أن تستشعر دائماً أن هذا الدخان الذي أقدم عليه معظم الناس اليوم هو السم الزعاف بل الموت البطيء.

٢ ـ لا تسمح لأنفك أن يشم رائحته الكريهة.

٣ ـ الحرص على البعد عن مجالس من يشربه لأن كثرة الإمساس تقلل الإحساس والصحيح يعديه الأجرب.

٤ ـ أن تستشعر دائماً أن هؤلاء الذين يشربونه تعساء مستعمرون

وأسراء لهذا السم الزعاف.

٥ - الحرص على انقاذ من تستطيع ممن وقع فيه بكل وسيلة متاحة وذلك بأن تشعر أنهم مرضى بحاجة إلى العلاج.

٦ - لا تنخدع بما ينشر عن الدخان من اعلانات زائفة خادعة فالهدف من ورائها الربح المادي ولا تراعي في المسلمين ألا ولا ذمة ولو بحثت عن الذين وراءها لوجدتهم من أعداء الأمة الحاقدين، أو من أذنابهم من المستغربين والله المستعان.

من وقع في شرك التدخين كيف يتخلص منه؟

العلاج يحتاج إلى مجهود كبير تتضافر فيه الجهود بين الجهات الرسمية وغير الرسمية، بين المبتلين به وغيرهم ولا شك أن ذلك يسير على من يسره الله عليه، ولعل اتباع الخطوات التالية يحسم الموقف ويجعلك تقلع عنه:

١ - أن تعتصم بالله سبحانه وتعالى وتطلب منه التوفيق والسداد.

٢ - أن تقلع عنه وتعقد العزم على ألا تعود إليه مرة ثانية مهما ترتب على ذلك.

٣ - أن تجعل نصب عينيك آثاره السيئة فيك وفي غيرك وما سببه ويسببه من أمراض كثيرة وأزمات حادة.

٤ - أن تبتعد عنه دائماً ولا تشمه ولا تجلس في مجالسه لأن الشيطان يحرص على تزيينه والنفس ضعيفة، ولكن إذا ابتعدت عنه بالكلية نسيته وخرج من حياتك.

٥ - ممارسة بعض التمارين الرياضية لتعويض الجسم والتسلية.

٦ - الاستعاضه ببعض الطيبات كالأقراص التي تمصها والحلوى

والشيكولاته وغيرها.

٧ ـ الاستحمام كثيراً.

٨ ـ استعمل السواك أو العلك في كثير من الأحيان لأنـه يشغلك وينسيك الدخان.

٩ ـ قلل من شرب القهوة والشاي وأكثر من تناول الفاكهة والغذاء الجيد.

١٠ ـ تناول أنواع العصيرات كالليمون والبرتقـال والتفاح والعنب لأنها تخفف من شدة الرغبة في التدخين.

١١ ـ أشارت الاحصائيات إلى أن ثلاثين مليون شخص قد أقلعوا عن التدخين في الولايات المتحدة الامريكية بعضهم أقلع لأن التدخين أثر تأثيراً سيئاً في صحتهم، أما الآخرون فقد أقلعوا لأنهم تيقنوا أن التدخين سوف يسيء اساءة بالغة إلى صحتهم، وأياً كان السبب فإن من المهم أن نتذكر أن الإقلاع عن التـدخين سـوف يؤدي إلى تحسن مؤكـد في الحـالـة الصحية ويقلل بشكل ملموس من مخاطر الاصابة بالأمراض في المستقبل يقول علماء النفس: أن نجاح المدخنين في التغلب على عادة التدخين يعتمـد على قدرتهم على كبـح جمـاح رغباتهم وعلى السيـطرة على أهواء نفـوسهم فكـل الطرق والأساليب لا تنفع ولا تفيد إن لم يكن هناك إرادة قوية تربأ بالإنسان أن يخضع لسلطان هذه العادة الذميمه[١].

---

(١) التدخين أضراره ووسائل تجنبه. سيف الدين شاهين ص ١٠٠.

وقد ذكر بعض الكاتبين وسائل متعددة للحد من ظاهرة التدخين نذكر منها ما يأتي:

١ - منع الدعاية للدخان بأي شكل من الأشكال وبمختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

٢ - منع التدخين في جميع المكاتب الحكومية والخاصة ومتابعة ذلك ومعاقبة من يخالف ذلك.

٣ - منع التدخين نهائياً في الطائرات ووسائل النقل العامة كالقطارات والحافلات وسيارات الأجرة.

٤ - منع التدخين في المدارس والجامعات والتشديد في ذلك ومتابعة الطلاب والأساتذة ومعاقبة المخالف بأقسى العقوبات.

٥ - منع التدخين منعاً باتاً في المستشفيات والقطاعات الصحية والعيادات والتحذير منه باستمرار في هذه المواقع.

٦ - منع التدخين في الأماكن العامة كالحدائق وصالات المحاضرات والأفراح والعرض وغير ذلك.

٧ - منع بيعه علناً والتشديد في ذلك وتخصيص أماكن لبيعه كالصيدليات مثلاً ومتابعة من يخالف ذلك والأخذ على يديه.

٨ - منع بيعه للصغار مهما كانت الملابسات والتشديد في ذلك وكل من يخالف ذلك يعاقب بما يستحقه.

٩ - عمل بعض المقابلات مع المدخنين الذين أقلعوا عن التدخين وبيان آثار ذلك فيهم لتشجيع غيرهم وشرح أسباب تركهم له(٢).

---

(٢) التدخين في ضوء العلم الحديث ص ٨٩.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة عبر الصفحات السابقة تتضح منها لنا النتائج التالية :

١ ـ أن الدخان قديم الظهور وأنه تدرج إستعماله وتنوع حتى وصل إلى ما هي عليه الحال اليوم وهي من أخطر أنواع استعمالاته .

٢ ـ تبين أن أخطر أسباب إنتشاره ضعف الوازاع الديني وكثرة المشكلات الأسرية وغياب التربية الإسلامية ووجود قرناء السوء .

٣ ـ تبين أن للدخان آثاراً خطيرة على الضروريات الخمس التي تكفلت الشرائع السماوية بحفظها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال .

٤ ـ تبين لنا بمالاً يدع مجالاً للشك رجحان القول بتحريم الدخان لأن الشريعة الإسلامية جاءت في تغليب جانب المنافع أن كثرت ودرء المفاسد متى غلبت وحيث إن الدخان شر محض وليس فيه منفعة تذكر لذا فالشرع والعقل والفطر السليمة والأعراف المستقيمة كلها تقضي بالإبتعاد عنه وتحريمه وقد إستدللنا لذلك من الكتاب والسنة والقياس وقواعد الشريعة العامة .

٥ ـ أفضل الوسائل لمكافحة التدخين تبدأ بالتربية الصالحة ووجود القدوة، الطيبة، وتسخير أجهزة الأعلام لمحاربة هذا الوباء، والبدء بمنعه في الأماكن العامة ومتابعة المخالفين وتأديبهم.

٦ ـ وأخيراً نقول لمن إبتلي بهذا الداء العضال عليك أن تجمع التوبة النصوح وصدق الإلتجاء إلى الله والضراعة إليه، بأن يعصمك من هذا الداء وأن ييسر لك الفرج العاجل لتلقي الله وأنت ممن يتبع الرسول فيحل الطيبات ويحرم الخبائث، وصدق الله العظيم ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[1].

أسأل الله جل وعلا أن يرينا الحق حقاً و يرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يهدينا لما اختلف فيه بإذنه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

فهـــرس الآيـات القرآنيـــة

فهـــرس الأحـاديـــث

فهـرس الأبيـات الشـعريـة

الموضوع — الصفحة

فهـرس المصـادر والمـراجـع

١ ـ أدبيات الشاي والقهوة محمد طاهر عبد القادر الكردي، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٢ ـ الأذكار: لأبي زكريا النووي، مكتبة القدس.

٣ ـ ارواء الغليل: للألباني، المكتب الإسلامي.

٤ ـ إستراتيجيات مكافحة التدخين في البلدان النامية، تقرير لجنة خبراء بمنظمة الصحة العالمية، منشوارات منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٤م.

٥ ـ الأشربة: أحمد بن حنبل، عالم الكتب، لبنان ١٤٠٥هـ.

٦ ـ الأعلام بنقد كتاب الحلال والحرام: صالح الفوزان، المطابع الأهلية للأوفست.

٧ ـ البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، لبنان.

٨ ـ بيان خطر المخدارت وأنواع المسكرات: عبدالرحمن الجطيلي، مطابع الرياض.

٩ ـ تبصرة الأخوان بأضرار التبغ المشهور بالدخان: محمد الطرابيشي، مطبعة الجمالية، مصر.

١٠ ـ التدخين: عزالدين الدنشاري، دار المريخ، الرياض.

١١ ـ التدخين هذا الوباء القاتل: أحمد الحصين، مكتبة الطرفية، الطائف.

١٢ ـ التدخين أضراره ووسائل تجنبه: سيف الدين شاهين، شركة العبيكان للطباعة والنشر.

١٣ ـ التدخين بين المؤيدين والمعارضين: هاني عرموش، دار النفائس الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٤ ـ التدخين في ضوء العلم الحديث: إبراهيم الضبيعي، دار السياسة الكويت.

١٥ ـ التدخين مادة وحكماً: أبو بكر الجزائري، مكتبة الأزهرية.

١٦ ـ التدخين مادته وحكمه في الإسلام: عبدالله بن جبرين، دار طيبة الرياض ١٤٠٣هـ.

١٧ ـ التدخين وأثره على الصحة: محمد علي البار، الدار السعودية الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

١٨ ـ التدخين وأضراره على الجسم والصحة: إبراهيم عامر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة.

١٩ ـ التدخين وأمراض الفم: مصباح أحمد قويدر، مطابع جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٠ ـ التقوى: صلاح الدين مارديني، المكتب الإسلامي.

٢١ ـ حكم الدين في اللحية والتدخين: علي حسن عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، الاردن.

٢٢ ـ حكام اليمن المؤلفون المجتهدون: عبدالله الحبشي، دار القرآن الكريم لبنان.
٢٣ ـ حكم شرب الدخان: عبدالرحمن السعدي، مطابع القوات المسلحة السعودية.
٢٤ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية.
٢٥ ـ دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دار الفكر.
٢٦ ـ الدخان في نظر الإسلام: صالح المنصور، مؤسسة النور.
٢٧ ـ الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات والمفترات: حمود التويجري مطابع القصيم، الرياض.
٢٨ ـ ديوان أبي تمام: عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، محمد علي صبيح، مصر.
٢٩ ـ ديوان معروف الرصافي، المكتبة التجارية الكبرى.
٣٠ ـ الروض المربع: منصور البهوتي، مطابع الفرزدق، الرياض.
٣١ ـ سؤال عن القات والدخان والشمة(نظم): حافظ حكمي، شركة المدينة المنورة.
٣٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، المكتب الإسلامي.
٣٣ ـ سنن ابن ماجه: الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٣٤ ـ سنن أبي داود : الدعوة ٨.

٣٥ ـ سنن الدارمي : دار إحياء السنة النبوية.
٣٦ ـ سنن النسائي : المكتبة التجارية الكبرى.
٣٧ ـ السنن الكبرى: للبيهقي، دار الفكر، لبنان.
٣٨ ـ صحيح الترمذي : المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٩ ـ فتوى في حكم شرب الدخان: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٤٠ ـ قيم أبناء المدمنين: محمد عوض عصام فريد، دار المحسن للطباعة مصر.
٤١ ـ كتاب الدخينة في نظر طبيب دانيال، ترجمة الزهرة، مكتبة المعارف الطائف.
٤٢ ـ كشف الستار عما في المسكرات والمخدرات من الأضرار: سليمان الحميضي مطابع دار الثقافة.
٤٣ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر.
٤٤ ـ مختصر تفسير ابن كثير المسمى عمدة التفسير إختصار أحمد شاكر.
٤٥ ـ مختصر سنن أبي داود: للمنذري، دار المعرفة.
٤٦ ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي.
٤٧ ـ مطالب أولى النهي في شرح غاية المنتهي: مصطفى السيوطي الرحيباني المكتب الإسلامي.
٤٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي.

٤٩ ـ المعجم الكبير للطبراني، الطبعة الثانية.
٥٠ ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار أحياء التراث العربي.
٥١ ـ من أضرار المسكرات والمخدرات: عبدالله الجارالله، مطابع الدرعية الطبعة الرابعة.
٥٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال، دار النهضة، لبنان.
٥٣ ـ مجموعة من المجلات والصحف اليومية والنشرات والدوريات التي تصدر تباعاً بمناسبة بعض الأسابيع والمناسبات وهي كثيرة جداً آثرت عدم تسجيلها.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة